

# نظرية المعرفة عند كانط

تأليف

د. عايدة عبد الحميد عبد الرحمن  
أستاذ مساعد بكلية البنات  
بالقليوبية- قسم العقيدة والفلسفة



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي لا ينطق عن الهوى، وعلى أهله وصحبه وسلم.

أكد كانط أن الظاهرة ليست هي التجلي الكامل والوجود الواقعي للماهية، وأن معرفة الماهيات أو الأشياء في ذاتها، مستحيلة، لأن الإنسان يعتمد في معرفة حقيقة العالم والأشياء على الإدراك الحسي وحده، أو الإدراك العقلي وحده. قسم كانط الموجودات إلى الظواهر، والأشياء في ذاتها "الماهية". قصر إدراك الإنسان على الظواهر فقط، أما الشيء في ذاته فمعرفة مستحيلة، لأنه فوق قدرة العقل والتجربة.

يعرف (كانط) الميتافيزيقا "ما وراء الطبيعة" النقدية: أنها الكشف عن المبادئ الأولية في المعرفة، فتبقى فكرته عن تصورات لا تستمد من التجربة بل تشكلها، تواتر فلسفي قيمته حقيقية، تناوله من سبقه من الفلاسفة، ومن لحقه. انكر به أن تغرس التجربة في الوعي معرفة، ما لم يكن في الذهن تصورات قبلية تحولها إلى مفاهيم.

بدأ كانط بحثه عن المعرفة، من خلال الإدراكات الأولية، بمنهج ترانسندنتالي، تجاوز فيه الخبرة التجريبية، يعطى فيه الموضوعات، وفق التصورات القبالية للفهم. عبر عن الملكات المعرفية المتحققة بالفعل للنفس الإنسانية بالحس والفهم والعقل، جعل البعض يحكم بها على نظريته بأنها ذات نزعة نفسية، ترد المعرفة إلى ملكات الذهن. بعد أن قسم العقل إلى ملكات لشرح وتقريب نظريته عن

المعرفة بأسلوب مبسط، في عرض الأفكار و التحليل.

يشهد الكثيرون لكانط: أنه الماهر في طرح الأفكار والبارع في تحليل القضايا، لكن من هو أشد منه براعة نبه: أن الانسان تفيده الملل بالوحي، ما شأنه ألا يدركه بعقله، وما يخور عقله عنه، وإلا فلا معنى للوحي ولا فائدة، فقد قرر الفارابي في كتابه إحصاء العلوم: أن الدين يفيد من العلوم، ما ليس في إمكان عقولنا إدراكه، بل وتستنكره عقولنا أيضا. عرف الفارابي قدر العقل فخصه بما يقدر عليه، فبدأ باليقين وانتهى إلى اليقين.

أراد كانط بمنهجه أن يدور بعقله حول الموضوعات، فبدأ بالشك، وانتهى بالإنكار. نتيجة صادمة، لم يصل إليها من هو أقل منه علما وحكمة هي: لو اعتمد على العقل ونظرياته لأنكر وجود الله، فلجأ إلي القوانين الأخلاقية التي يوحي بها العقل للإنسان، بهذا الامر المطلق انتهى كانط إلي أن الله مجرد فكرة، يوحي بها العقل للإنسان.

يخرج في عصرنا هذا من حين لآخر، من يدعي أنه يجدد في الدين، و يأخذ على من سماهم بأوصياء الدين، ادعاءهم امتلاك الحقيقة، وأنهم المؤتمنون وخدمهم على العلم، ويطلب منهم رفع الوصاية عن الناس... أنبهه بأن كانط قد سبقه من سنين عديدة، بنفس دعوته، بترك الدين فقط للجميع بلا وصايه، أما العلم، فقد حافظ على دعوى الفيلسوف النظري المحقة، أكثر من سواها، وابقاه دائما، المؤتمن الوحيد على العلم.

موضوع البحث هو: " نظرية المعرفة عند كانط " يتكون من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة

الفصل الأول الحكم "المعرفة " عند كانت، يتكون من المبحث الأول: تعريف

الحكم واقسامه.المبحث الثاني:منهج كانت في المعرفة. المبحث الثالث:الميتافيزيقا  
الفصل الثاني:ملكة المعرفة عند كانت،يتكون من المبحث الأول:وسائل معرفة  
الظواهر،المبحث الثاني:المكان و الزمان،المبحث الثالث:العقل "المنطق  
الترسندالي"

الفصل الثالث:فلسفة الأخلاق عند كانط "العقل العملي"،يتكون من المبحث  
الأول:المعرفة النظرية و العملية عند كانت،المبحث الثاني:الفوائد الإيجابية  
لمبادئ العقل المحض النقدية،المبحث الثالث:مفهوم الله والنفس.والخاتمة بها أهم  
النتائج

وأسأل الله العظيم أن ينفعنا بما اختصه للدين بالدين،وما اختصه للعقل  
بالعقل،وادعوه أن يجنبنا الخط بينهما،وأصلي وأسلم على الهادي البشير،محمد

"ﷺ".

\* \* \*

## تهيد

### ايمانويل كانط<sup>(١)</sup>

(١٧٢٤ : ١٨٠٤)

ولد " كانط " في مدينة " كونجسبرغ " الألمانية عاصمة بروسيا " ألمانيا قديماً تسمى بروسيا " يوم ٢٢ نيسان ١٧٢٤م في عائلة فقيرة. كان والده يمارس صناعة السروج، من " أصل اسكتلندي "، و أمه امرأة دينّ صالحة مما دعاها إلى تسجيل ابنها " بمعهد فردريك " الذي بقي فيه لمدة ثمان سنوات قاسية و عنيفه يصفها " كانط " بقوله " إن الخوف والرعدة يغلبانه حين يتذكر تلك الأيام". ماتت أمه وهو في " الثالثة عشرة " من العمر وتوفي والده حين كان عمره " اثنتين وعشرين " سنة مما يعني تحمله لجزء من مصاريف أسرته و إعالتهم. يفسر البعض بهذه النشأة القاسية أنها سبب في الصرامة والجدية و الإجتهد التي كانت إحدى سمات هذا الفيلسوف

إيمانويل أسمه الأول يعنى بالألمانية " الله معنا " مما يشير إلى نشأة دينية بقي في " معهد فردريك " لمدة ثماني سنوات، ثم التحق بعد ذلك بجامعة المدينة في أيلول ١٧٤٠م، درس فيها الفلسفة والرياضيات وعلم أصول الدين والفيزياء ثم اضطرته ظروفه المادية الصعبة إلى طلب الرزق من " مهنة التدريس " تابع دراسته في حتى حصل في عام ١٧٥٥ حصل على " شهادة الماجستير " وعمل مدرسا في الجامعة التي تخرج منها، بعد ذلك حصل على "درجة الدكتوراه في الفلسفة " سنة ١٧٥٥م تولى " عمادة كلية الآداب " خمس مرات وكان " مديرا

---

(١) انظر قصة الحضارة: بول ديوارت، ترجمة فؤاد أندرواس، ٢٠٠/٤١ الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١

للجامعة " مرتين وفي هذه الفترة أصدر أهم الأعمال الفلسفية " كنقد العقل الخالص " و " نقد العقل العملي " و ميتافيزيقيا الأخلاق " يعتبر فيلسوف وعالم في آن واحد برز في أغلب المجالات " الفيزياء الفلكية " و " الرياضيات " و " الجغرافية " و " علم الإنسان " و " الاخلاق " و أشتهر بالنقد و محاولة تأسيس " علم الأخلاق " و ترسيخ مفهوم السلام بين الشعوب يعتبر أحد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي والأوروبي الحديث والفيلسوف الرئيس الأخير في عصر التنوير.

\* \* \*

## الفصل الأول: الحكم "المعرفة" عند كانت

استقلال العقل، هو المبدأ العام للفلسفة في عصر كانت، حرص فيه على شرح قدرة العقل من الناحية النظرية الفكرية، أو الناحية العملية الأخلاقية. و ما يستطيع الانسان معرفته، وما يجب عمله؟ ويأمل بلوغه. في كتاب (نقد العقل الخالص) بين كانت للتجريبيين والعقليين أخطاءهم في طرق الوصول إلى المعرفة وإمكانها، ومدى تحققها في الوجود الخارجي

و بين للحسيين والتجريبيين ضعف نظريتهم في المعرفة المستمدة من الحواس، لما يترتب عليها من إنكار دور العقل في المعرفة، واستحالة بلوغ المعرفة اليقينية. و رفض قول "هيوم" أن المبادئ الأولية القبلية ممتنعة تماما، و ما يسميه الانسان ميتافيزيقا يؤدي إلى مجرد وهم لرؤية عقلية باطلة، و أن عقل الإنسان أفكار متتابعة متعاقبة، لأن تتابع ما عرض لحواسنا في الماضي، قد يختلف في المستقبل، بما يشكك في مبدأ السببية، أساس النظريات العلمية

و انتقد اكتفاء العقليين بفطرة العقل للحصول على المعرفة، دون الرجوع إلى الحواس والعالم الخارجي. ولو كان الأمر كذلك، لامتلك الإنسان معرفة يقينية، من غير اعتماد على التجربة الحسية، أو يبحث العقل في نفسه عن أفكار سابقة للتجربة ومدى كفايتها لتحصيل المعرفة. رفض كانت الاعتماد على الأفكار الفطرية "الأوليات والبدهيات" التي قال بها ديكارت، كفكرة الله، و أقر بوجود معارف قبلية ليس مصدرها التجربة، من بنية و مبادئ العقل يتعامل بها، مع الظواهر، فلا يتمكن الانسان من المعرفة، إلا إذا تألفت الظواهر المتناثرة في العالم الخارجي، بنظام العقل ومبادئه.

**المبحث الأول: تعريف الحكم واقسامه:**



العقل اداة فكرية تحول الإدراك الحسي الى أفكار، وتمنح التجربة وحدة الفكر. في كتاب (نقد العقل المحض) أراد كانط بكلمة نقد: التمييز والتقديم. وضع العقل تحت الدراسة والتأمل، لمعرفة حدود ما يملكه من معرفة عقلية خالصة، غير مستمدة من التجربة الحسية البعدية، من خلال سؤاله، هل يوجد نوع من المعرفة مستقل عن التجربة، والانطباعات الحسية؟

وكلمة العقل عند كانط: أي عقل الأشياء والظواهر، ربطها ببعضها وفهمها، بأداة الذهن المفكرة، التي تحول الإدراك الحسي إلى أفكار، تمنح التجربة وحدة الفكر بين التجربة والعقل تتم المعرفة، فالتأملات العقلية النظرية ليس لها قيمة، ما لم تدعمها التجربة

المعرفة العلمية أحكام تحتل الصدق و الكذب لذاتها. الحكم: (هو اسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً. أو وضع الشيء في موضعه، وقيل ما له عاقبة محمودة) (١) الأحكام هي أساس تعامل كانط مع المعرفة، والنظر إلى المقولات- محمولات تحمل على الجوهر أو الجسم- التي يترتب على أساسها الأحكام، أنها أوليات في ملكة الفهم، لا ترجع إلى التجربة، هي كل صور المعرفة الممكنة. لذا قسم كانت المعرفة " الحكم الذي يقوم عليه العلم" من حيث علاقة الموضوع بالمحمول إلى (٢):

-الاحكام التحليلية، مثل: كل الاجسام ممتدة، ينتمي المحمول (ممتدة) الى الموضوع (الاجسام) بوصفه شيئاً متضمناً فيه. فهو حكم تحليلي، لأن المحمول وهو صفة للموضوع، لم يضاف إليه شيئاً، بل استمد عناصره منه

(١) التعريفات: الشريف الجرجاني، ص ٨٢، الحلبي ١٩٣٨

(٢) انظر نقد العقل المحض: عمانوئيل كنت، ترجمة موسى وهبة، ص ٤٩ مركز الانماء القومي، لبنان

- الاحكام التأليفية"التركيبية"،مثل:كل الاجسام ثقيلة،مفهوم (ثقيلة)خارجا عن مفهوم (الاجسام) خروجا تاما،بالرغم انه مرتبط به وملازم له،فهذا حكم تألفي،لأن المحمول أضاف إلى مفهوم الموضوع محمولا لم يكن يفكر فيه الاحكام التحليلية: هي التي يفكر فيها الاقتران بين الحامل والمحمول من خلال الهوية.

الاحكام التأليفية:تلك التي يفكر فيها ذلك الاقتران من دون الهوية المذكورة.ويمكن أن تسمى الاحكام التحليلية تفسيرية و الاحكام التأليفية توسيعية(لأن الأولى لا تضيف بالمحمول شيئا إلى أفهوم الحامل،ولا تفعل سوى أن تفككه بالتحليل إلى معانيه الجزئية التي سبق أن فكرت فيه(وإن بشكل مختلط).في حين أن الأخرى تضيف إلى أفهوم الحامل محمولا لم يكن ليفكر فيه،ولم يكن بوسعنا أن نستمد منه بأي تحليل(١)الحكم التحليلي يستخدمه العقل من أجل التوضيح فقط،لا يعطي محموله مفهوما جديدا،و التركيبي:يزيد محموله مفهوما جديدا على الموضوع،فالله عالم،حكم تألفي،لأن من أجل أن يكون الله عالما،لابد أن يكون موجودا

طبق كانط منطق أرسطو،عناصر الأحكام فيه،هي الموضوعات والمحمولات "ذوات وصفات".ميز بين نوعين من القضايا والأحكام،أحكام يكون الموضوع فيها متضمنا للمحمول،يسمىها تحليلية،و أحكام يضيف فيها المحمول الي الموضوع مفهوما جديدا،وصفات جديدة،يسمىها تركيبية.والهدف النهائي لمعرفة الإنسان الاعتبارية القبلية(يستند بأسره إلى مثل هذا النوع من المبادئ التأليفية أي التوسعية،لأنه صحيح أن المبادئ التحليلية عظيمة الأهمية وضرورية،لكن فقط

---

(١) المصدر نفسه:ص٤٩

من أجل الوصول إلى وضوح الأفاهيم، ذلك اللازم لتأليف موثوق ومتوسع، بوصفه كسبا جديدا حقا<sup>(١)</sup>

القضية التحليلية قد تكون مقدمة منطقية لها نتائج معلومة، مثل قضايا المنطق والرياضيات والهندسة، لا تأتي بجديد، مقدماتها الكبرى كلية، والنتيجة المستنبطة أصغر منها جزئية، و تحصيل حاصل. أما القضية التأليفية " التركيبية " فتخبر عن شيء جديد، معرفتها غالبا مادية و تجريبية، قائمة على الاستقراء وليس القياس، تحدث في عالم الطبيعة، تخبر عن واقعة موضوعية، تضيف إلى الإنسان معرفة جديدة، مرتبطة بالتجربة والواقع

قسم كانط الحكم الذي يقوم عليه العلم إلى قسمين: أحكام تحليلية "بسيطة"، وأحكام تأليفية "تركيبية" في مجملها تقوم على علاقة الموضوع بالمحمول "حمل الصفات على الذوات". فإذا كان المحمول (ب) ينتمي إلى الحامل "الموضوع" (أ) بوصفه شيئا متضمنا فيه، فهو حكم تحليلي، لا يضيف المحمول شيئا جديدا إلى الحامل، بل المحمول يستمد عناصره من الحامل. ومن جهة أخرى إذا كان مفهوم المحمول (ب) خارجا عن مفهوم الموضوع (أ) خروجا تاما، لكن متصل به، هذه العلاقة تنتمي إلى الأحكام التأليفية، لأنها تضيف إلى مفهوم الموضوع محمولا جديدا، وصفات جديدة

الأحكام التحليلية مثل: كل الأجسام ممتدة، تحليل هذا المفهوم، لا يضيف مفهوما جديدا، و لا يخرج عن المفهوم نفسه. أما الأحكام التأليفية مثل: الأجسام ثقيلة، التحليل لا يفيد في معرفة ثقل الأجسام، ويجب الجمع بين تحليل مفهوم الجسم وتحليل مفهوم الثقل تأليفيا. والنتيجة أن الأحكام التحليلية هي أحكام

---

(١) المصدر نفسه: ص ٥٠

قبلية" عقل نظري"، والأحكام التأليفية هي أحكام أمبيرية بعدية" عقل عملي"  
قسم كانت العلوم النظرية إلى:

معارف قبلية "أولية": نوع من المعرفة مستقل عن التجربة، وعن جميع الانطباعات الحسية، منها معارف قبلية محضة المعارف القبلية التي لا يخالطها أي شيء أمبيرى البتة. قضية مثل: كل تغير له سبب، هي قضية قبلية إنما ليست محضة. لأن التغير هو مفهوم يمكن أن يستخرج من التجربة وحسب<sup>(١)</sup> معارف بعدية "أمبيرية": مصدرها بعدى، أي في التجربة. القبلي "الأولي" يراد به الحكم الثابت لدى العقل قبل التجربة، و"البعدي" الأمبيرى: الحكم الثابت لدى العقل بعد التجربة

#### الفرق بين المعرفة المحضة والأمبيرية

أولاً: إن وجدت قضية تفكر هي وضرورتها معا فستكون حكماً قبلية، فإن كانت هذه القضية، إلى ذلك، غير مشتقة إلا من قضية ضرورية هي الأخرى، فستكون قبلية إطلاقاً

ثانياً: أن التجربة لا تعطى قط لأحكامها كلية حقيقية وصارمة، بل كلية مفترضة ومقارنة من خلال الاستقراء<sup>(٢)</sup>

أكد ديفيد هيوم الذي مصدره الوحيد للمعرفة هو الحس، أن صفتي الضرورة والكلية لا يمكن أن يستدل عليهما من التجربة؛ لأن التجربة الحسية لا تقدم لنا إلا الجزئي والمتغير، بما يشكك في "إمكان" قيام علم ضروري ويقيني يؤكد للإنسان من هو المؤثر الحقيقي في هذا العالم

(١) انظر نقد العقل المحض: ص ٤٦

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٠

## المبحث الثاني: منهج كانت في المعرفة:

قرر كانط "المثالي" أن التجربة لا تمدنا بالضرورة والكلية، أي ضرورة ثبوت الحكم، وعدم انتفاء المحمول عن الموضوع، وأن للعقل البشري دوراً في تركيب وتأسيس العلوم. له تصورات قبلية تميزه بالطابع الكلي والضروري، سابقة على التجربة تجعل قيام العلم الطبيعي الموضوعي ممكناً (الضرورة والكلية الصارمة هما إذن ميزتان موثوقتان للمعرفة القبلية، ترتبط أحدهما بالأخرى ارتباطاً لا ينفصل) (١) المعرفة العلمية التي تتميز بطابعي الضرورة والكلية ممكنة. تعني الضرورة صحة تطبيق القوانين العلمية على جميع الظواهر، حتى لو تغير المكان والزمان والكلية، هي شمول القانون لجميع الظواهر بلا استثناء، في كل مكان وزمان. كما ينطبق قانون السببية مثلاً، على كل الظواهر التجريبية، فكل ظاهرة لها سبب

**المعارف العقلية القبلية عند كانت تسبق معطيات التجربة الحسية سبقاً منطقياً**  
لا زمانياً، واستقلال العقل وحده لا ينتج أي معرفة والاستقلال بالتجربة وحدها لا ينتج ولا يعطى أي معرفة، إنما تدرك المعرفة بالاثنتين معاً (إن حكماً يفكر بكلية صارمة أي على نحو لا يقبل أي استثناء ممكن، هو حكم لا يشتق من التجربة، بل يصدق قبلها اطلاقاً. وما الكلية الامبيرية إلا رفع تعسفي لما هو صادق في معظم الحالات إلى ما هو صادق في جميع الحالات، كما في القضية مثلاً: كل الاجسام هي ثقيلة) (٢)

الحس وحده ينقل صور متقطعة متفرقة لا علاقة بينها، لا تنتج أي

---

(١) المصدر نفسه: ص ٤٦

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٦

معرفة، والعقل يضيف الي الصور علاقات واطر المكان و الزمان والمكان و العلية، فهذه الأشياء سببها هذا، ومسبب عنها هذا، موجودة في حيز وفي زمان، و يوجد معانى أولية في العقل سابقة على كل تجربة مثل، الذاتية، والأوليات، الكل أكبر من الجزء. لو حذف كل ذلك، لا يبقى من عالم الخارج والحس والتجربة، إلا مجرد صور متناثرة، لا تعطى أي معرفة، ولدى الإنسان دون بقية الحيوانات احساس بالمستقبل، لأن استخدامه للزمان كمقولة، ضرورة عنده، يفكر في الآخرة و الحساب والجزاء تفكيراً أخلاقياً، مبني على التفكير في التبعة، وما يلزمه من المسؤولية، له علاقة بالزمان، يعيده الذهن والعقل الإنساني في كل شيء

**كل المعرفة تبدأ بالتجربة، لا تنشأ عنها، فلو اكتفى الانسان بالتجربة وحدها، ما حصل إلا على صور متفرقة، خالية من أي علاقات مكانية أو زمانية، لأن المعرفة البعدية التي تعقب التجربة شرطها، واضح في المعرفة القبليّة، وهي من اختصاص العقل وعمله (فقدرتنا المعرفية لن تستيقظ إلى العمل إن لم يتم ذلك من خلال موضوعات تصدم حواسنا، فتسبب من جهة، حدوث التصورات تلقائياً، وتحرك من جهة أخرى، نشاط الفهم عندنا إلى مقارنتها، وربطها أو فصلها، وبالتالي إلى تحويل خام الانطباعات الحسية إلى معرفة بالموضوعات تسمى التجربة) (١)**

**في المثالية العقلية، هناك ظواهر عقلية قبليّة، تسبق كل تجربة قبليّة، فالأفكار سابقة على محسوساتها، هذا لا يقبله الماديون التجريبيون، لأن المفاهيم لديهم والظواهر تكتسب بعد كل تجربة بعدية، وهذا لا يرضاه العقليون، أقر كانط بوجود المعرفتين، و ميز بينهما. المعرفة القبليّة "العقل العملي" السابقة على كل**

---

(١) المصدر نفسه: س ٤٥

تجربة، ضرورية لإدراك الأشياء، واثبات المحمول للموضوع واستحالة نفيه، من غيرها مستحيل على العقل الإنساني أن يحصل على المعرفة (فالقسم الأكبر من شغل عقولنا، يقوم على تحليل الأفاهيم التي سبق أن كانت لدينا عن الموضوعات. وهذا ما يزودنا بمجموعة من المعارف التي، وإن لم تكن سوى إيضاحات أو شروحات، على ما سبق أن فكر في أفاهيمنا) وإن لم يزل مختلطاً) تحسب مع ذلك ومن حيث الصورة على الأقل، نظرات جديدة، على الرغم من إنها لا توسع الأفاهيم التي لدينا، من حيث المادة أو المفهوم، ومن إنها تقتصر على فرزها) (١)

هذه الوسيلة تعطى معرفة قبلية "نظرية" متحققة تشكل تقدماً موثقاً ونافعاً، إلا إذا أضيف إليها مفاهيم غريبة، فقد (يتراءى للعقل ودون أن يدري... أن يضيف قبلها إلى الأفاهيم المعطاة، أخرى غريبة تماماً على نحو قبلي، من دون أن يعلمه المرء كيف توصل إليها، بل حتى من دون أن يخطر في البال مثل هذا السؤال) (٢)

### أحكام العلوم النظرية:

بين كانط "بالعقل النظري" مغالطات المثاليين " أنصار النظرة العقلية المجردة نحو الوجود " ووضح أخطاء الماديين لقولهم: إن الوجود مادة محسوسة، ولا شيء سوى ذلك، لكنه لم ينف وجود المادة. أثبت للعقل مقولات " ذهنية مجردة " غير مادية تحتاج إلى مواد لتقوم بتحليلها والكشف عن خواصها وعلاقاتها المجهولة

**المقولات:** هي الصور القبلية " الأولية " للمعرفة أطلقها كانط على المبادئ الأساسية للفكر الخالص، تمثل الأساس للفكر الإستدلالي، تستنبط من طبيعة الحكم

(١) المصدر نفسه: ص ٤٨

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٨

باعتبار صورته المختلفة المحصورة في أربعة أقسام: الكمية، والكيفية، والإضافة (العلاقة)، والجهة (الوضع) (يكون للمقولات بوصفها مجرد صورة فكرية، واقع موضوعي، أعني، تطبيق على الموضوعات، التي يمكن أن تعطى في الحدس، إنما فقط بوصفها ظاهرات، لأننا قادرون على الحدس القبلي بها وحسب) (١) المقولات عند كانط قبليات في ملكة الفهم لا ترجع إلى التجربة. يترتب عليها الأحكام التي هي كل صور المعرفة الممكنة (لا تقدم لنا المقولات إذن بواسطة الحدس أي معرفة بالأشياء، إلا من خلال تطبيقها الممكن على الحدس الأميري) (٢)

تطبق المقولات على موضوعات الحواس عامة بوصفها ظواهر. وقرر كانط وجود مرحلة وسيطة بين الوعي الحسي والفهم الخالص، لا هي تجريبية مثل الإدراك الحسي، ولا هي قبلية مثل الإدراك العقلي، بل تتوسط التجريبي والعقلي، تربط بينهما، أطلق عليها كانط، المخيلة الترانسندنتالية. "المخيلة" هي حلقة الوصل بين الحسي والتجريبي من جهة، والقبلي والعقلي من جهة أخرى، (المخيلة هي قدرة تصور موضوع، حتى من دون حضوره في الحدس) (٣)

### وظيفة المخيلة: تركيبات ثلاثة

الأول: الاحتفاظ بالموضوعات في الذاكرة كي تكون خاضعة للتفكير، والإمساك بكافة صفاتها، التي لا يمكن أن تكون خاضعة للحواس وقت التفكير بها. لكي يكون الشيء موضوعاً لتطبيق المقولات "محمولات على هذا الموضوع"، يجب أن يكون حاضراً لملكة وسيطة لا هي حسية ولا فكرية، هي

(١) المصدر نفسه: ص ١٠٧

(٢) المصدر نفسه: ص ١٠٧

(٣) المصدر نفسه: ص ١٠٧



## المخيلة.

الثاني: "إعادة الإنتاج" لأنها تعيد إنتاج موضوع الإدراك الحسي في غيابه عن الحواس، كما تعيد إنتاج كل خصائص وصفات الموضوع التي التقطها الإدراك الحسي تباعاً، على مراحل.

التركيب الثالث: الذي تقوم به ملكة الفهم بين التمثلات والتصورات، تركيب "الموضوع المعاد التعرف عليه" (المخيلة الاسترجاعية التي يخضع تأليفها لقوانين أمبيرية فقط، وهي قوانين التداعي، ولا يسهم من ثم بشيء في تفسير إمكان المعرفة القبلية، ولا ينتمي بسبب من ذلك الى الفلسفة الترندالية بل إلى السيكولوجيا)<sup>(١)</sup> فالموضوع الخاضع مباشرة لتعامل تصورات الفهم معه، هو موضوع معاد التعرف عليه، بعد أن أدرك الحس الانطباعات المختلفة عنه، احتفظت به المخيلة، وأعدت إنتاجه عن طريق ضم الانطباعات الآتية منه، باعتبارها خصائص وصفات له. يقدم الموضوع نفسه لملكة الفهم، باعتباره معاد الإنتاج، من قبل الحدس الحسي والمخيلة معا.

**الكمية و الكيفية:** تؤلفان القضايا الرياضية. و الإضافة والجهة خاصان بوجود موضوعات الحدس، وهما يؤلفان قضايا الحركة والتغير (موضوعات العلم الطبيعي) بواسطة هذه المقولات، يوحد الإنسان بين الظواهر ويثبت بينها علاقات كئيّة ضرورية، تجعل من الظواهر موضوعات مستقلة عن الوجود الشخصي للإنسان. هذه الوحدة أساس الفكر، عين الفهم، يعرّف الفهم لجهة وظيفته بأنه قوة تلقائية تربط بين الظواهر وتمكّن من إطلاق الحكم. يحتاج العقل لموضوع كي يدركه و يتصوره، كالمادة والعالم (فما أن يعرف تمام المعرفة قدرته بالنسبة

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٠٧

للموضوعات التي تقدمها التجربة، حتى يصبح من السهل أن يعين على نحو كامل وموثوق، نطاق وحدود الاستعمال الذي يمكن أن يحاوله خارج حدود كل تجربة (١)

العقل بدون حس فارغ، والحس من غير عقل أعمى، يسيطر عليه عالم المادة، و ضل وجهل، وبدأ يبحث عن أمور لا يمكن معرفتها، مثل وجود الله و النفس والحرية التي ينكرها "كانط" من الناحية النظرية، لأن العقل يعجز عن اثبات هذه القضايا الكبرى، بينما ينجح في معرفة الأعداد الرياضية "قضايا تحليلية" جميع علوم العقل النظرية تتضمن أحكاماً تأليفية "تركيبية" بوصفها مبادئ القضايا الرياضية، هي دائماً أحكام قبلية وليس أمبيرية، لأنها مصحوبة بضرورة لا يمكن أن نستمدّها من التجربة (٢) ومثال ذلك عند كانط: حاصل جمع سبعة وخمسة (أن ما فكرت فيه حقاً في أفهوم) حاصل جمع سبعة وخمسة) هو أن الخمسة يجب أن تضاف الى سبعة. لا أن هذا الحاصل يساوي (١٢) (٣)

الرياضيات: تتألف من أحكام تركيبية، العدد هو حقيقة الكمية المتصورة، جمع آحاد موجودة أو مفترضة. وفي العلم الطبيعي يوجد بعض الأحكام التركيبية، ينزع إليها العقل، تنشأ في العقل الخالص من غير تدخل من المحسوسات، مثل خلود النفس. وأحكام تتعلق بالادراك الحسي مثل السببية. والحقائق الرياضية تستمد ضرورتها من الاحكام الفطرية.

ولمعرفة كيف تتكون المعارف التركيبية في العقل، المدركة عن طريق

---

(١) المصدر نفسه: ص ٥٤

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٠

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٠

الحواس، وتأتي بأشكال وصور مبعثرة غير متألّفة للمحسوسات، وينظّمها العقل حتى تصبح في وحدة فكرية متماسكة؟ يكون الجواب، في تحديد وظائف الحس والفهم والعقل. (القضية الحسابية: تأليفية دائماً. سيزداد اقتناعنا بذلك وضوحاً، بقدر ما نأخذ أعداداً أكبر، لأنه سيتبدد حينئذ، أنه لا يمكننا البتة، أن نعثر على حاصل الجمع، بمجرد تحليل أفاهيمنا، على أي نحو قلبناه واعدنا تقليبها، من دون الاستعانة بالحدس)<sup>(١)</sup>. الرياضيات حكم العقل فيها تركيبياً أوّلياً، تتعامل مع موضوعات فطرية لدى الإنسان. تنقسم إلى: الهندسة "تختص بالمكان"، و الحساب "موضوعه العدد". العدد هو تكرار الوحدة، والتكرار تتابع و تعاقب، يندرج ضمن مقولة الزمان. فالمكان و الزمان قطبان رئيسيان، وصورتان فطريتان عند الإنسان تدور حولهما المبادئ الرياضية، في رأي كانط

**علم الطبيعة (الفيزياء):** تتضمن قوانينه قضايا تأليفية "تركيبية" قبلية، بوصفها مبادئ في بعض القضايا، على سبيل المثال: في جميع تغيرات العالم الجسمي تبقى كمية المادة ثابتة، أو في كل تواصل للحركة، يجب أن يظل الفعل ورد الفعل واحدهما مساويا للأخر<sup>(٢)</sup>. القضيتان ضروريتان، من أصل قبلي، و أيضاً (تأليفيتان. لأنني في الأفهوم (المادة) لا أفكر (الدوام) بل فقط حضور هذه المادة في المكان، بفعل ملئها له. فأنا إذن، اتخطى حقيقة الأفهوم (المادة)، لأضيف إليه قبلياً شيئاً لم أكن أفكره فيه. فليست القضية إذن تحليلية، بل تأليفية ومفكرة مع ذلك قبلياً. وذاك هو شأن سائر القضايا في الجزء المحض من علم الطبيعة)<sup>(٣)</sup>

(١) المصدر نفسه: ص ٥١

(٢) المصدر نفسه: ص ٥١

(٣) المصدر نفسه: ص ٥١

لا يُدرك عند كانط من الطبيعة إلا الظواهر، موضوع علم الطبيعة، أحكامها تركيبية ثانوية، أساسها دراسة الظواهر الموضوعية للطبيعية، التي تدرك بالتجربة. فإذا حلّت الأحكام التركيبية الثانوية من قبل العقل، نجدتها مركبة من عقل وحس. الحس يضع المحسوسات الناتجة عن التجربة في قالبها المكان والزمان، فتصبح مدرك حسي. والعقل يربط بين هذه المدركات الحسية. وتطبيقاً للمثال السابق، الحكم في هذه القضية يبين الآتي:

أ- ظاهرة التغيرات في الجسم، و ظاهرة ثبات المادة جاءت عن طريق التجربة  
ب- سببية إحدى الظاهرتين للأخرى مردّها لمقولة العلية  
**المبحث الثالث: الميتافيزيقا "ما وراء الطبيعة":**

**رفض كانط الميتافيزيقا التقليدية، التي كان منهجها قبلياً، يستخدم العقل الخالص وحده، لا يمكن التحقق من نتائج موضوع دراستها عن طريق الخبرة، ولا يمكن تناول مبادئها ومسائلها بالبرهان والتحليل. وسأل عن إمكان قيام ميتافيزيقا أساسها نقد العقل الخالص، منهجها التحليل، يرسم فيها حدوداً للعقل لا يتجاوزها، يخضع فيها التصورات القبليّة للنقد، ويردها إلى مصادرها المختلفة: الحواس، والحدس، والعقل.**

فالميتافيزيقا عند كانط: هي علم نقد العقل والفلسفة المتعالية، مبادؤه قبليّة مستمدة من العقل الخالص، هدفه الأحكام القبليّة التأليفية (لن تكون فائدته بالنظر إلى الاعتبار سوى سلبية، فهي ستصلح لا لتوسيع عقولنا، بل فقط لتطهيره وصونه من الأخطاء) (١). في الميتافيزيقا، يجب أن يكون "ثمة" معارف تأليفية قبليّة (للوصل إلى ذلك، يجب علينا أن نستخدم تلك المبادئ التي تضيف إلى

---

(١) المصدر نفسه: ص ٥٤

الأفهوم المعطى، شيئاً غير متضمن فيه، وأن نعلو بأحكام تأليفية قبلية، إلى أقصى ما يمكن للتجربة نفسها أن تلحق بنا، مثلاً هذه القضية: "العالم يجب أن يكون ذا بداية"، فالميتافيزيقا من حيث غايتها على الأقل تتشكل من مجرد قضايا تأليفية قبلية<sup>(١)</sup>

انتقد كانط حكم هيوم على المعرفة أنها ليست يقينية، لأنها ملاحظات نُظمت دون أن يحكمها أي قانون صحيح، بدأ فيها هيوم بدايةً خاطئة، إذ فرض أن العقل لا يحتوي إلا المعرفة التجريبية المكتسبة بالحواس، وتوقف فقط عند القضية التأليفية: ارتباط المسبب بأسبابه (مبدأ السببية)، اعتقد أن بإمكانه يبين أن مثل هذا المبدأ القبلي هو ممتنع تماماً، وأن كل ما نسميه ميتافيزيقا لا يؤدي بنا، وبموجب استدلاله، إلا إلى مجرد توهم لرؤية عقلية مزعومة، لما استعير في الواقع من التجربة فقط، وصار له بفعل العادة ظاهر الضرورة الميتافيزيقيا، على الرغم من إنها ليست محققة من حيث هي استعداد طبيعي "ميتافيزيقا طبيعية"<sup>(٢)</sup>

وغفل هيوم عن المعرفة الأولية الموجودة في عقل الانسان، وأنّ بناء ملاحظاته ومعرفته التجريبية، باقترانها مع هذه المعرفة الأولية، يجعل المعرفة يقينية (لأن العقل البشري، مدفوع ليس بمجرد التباهي بكثرة المعلومات، بل بحاجته الخاصة، يتابع سيره بلا ارتداد، نحو تلك الأسئلة، التي لا يمكن أن تحظى بجواب، من أي استعمال تجريبي للعقل، أو من أي مبدأ صادر عن ذلك الاستعمال)<sup>(٣)</sup>

---

(١) المصدر نفسه: نص ٥٢

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٣

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٣

الميتافيزيقا هي المعرفة العقلية الاعتبارية المعزولة والمترفعة عن كل ما هو تجريبي وحسي، مستندة الى مجرد مفاهيم (لا إلى تطبيق الأفاهيم على الحدس كما في الرياضة... المعرفة التي على العقل من ثم، أن يكون فيها تلميذ نفسه فلم يحالفها الحظ، حتى الآن كي تتمكن من انتهاج درب العلم الآمنة، مع أنها أقدم من أي معرفة عقلية أخرى) (١)

للإنسان عند كائط استعداد طبيعي للميتافيزيقا، فلا يمكن اتخاذ ما فيها من تناقضات حجة للقول باستحالتها، بل يجب البحث عن أسباب هذه التناقضات (فما هو السبب الذي منع هنا من إيجاد درب العلم الآمنة، أتكون من المستحيلات؟ ومن أين ابتلت الطبيعة عقلنا بالسعى الدؤوب إلى اقتفاء أثرها، بحسبانها غرضا من أهم أغراضه؟) (٢)، هذا الاستعداد الطبيعي للميتافيزيقا كان علما ثابتا (كان ثمة، حقا، في جميع الأزمنة، نوع من الميتافيزيقا عند جميع الناس مذ أن توصل العقل عندهم إلى الاعتبار) (٣)

### تعريف الميتافيزيقا:

يعرف كائط الميتافيزيقا التقليدية: (هي العلم الذي ليس هدفه النهائي، مع كل وسائله، سوى حل مشكلات العقل المحض التي لا مفر منها، الله والحرية والخلود، ومنهجه هو في البداية دغمائي، بمعنى أنه يحاول بثقة تحقيق الهدف، دون أن يتفحص مسبقا، قدرة العقل أو عجزه أمام مشروع ضخم كهذا) (٤) وتعريفه للميتافيزيقا بعد نقده للعقل المحض: (هي العلم الذي يهتم بالمبادئ

(١) المصدر نفسه: ص ٣٣

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٤

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٤

(٤) انظر المصدر نفسه: ص ٤٧

وحدود استعمالها، التي يعينها نقد العقل المحض بنفسه، فالميتافيزيقا بوصفها علما أساسيا ملزمة بهذا الكمال<sup>(١)</sup> قضايا الميتافيزيقيا لا تنتمي إلى الأحكام التركيبية الأولية، ولا الثانوية. هي ليست أولية، لأن موضوع الميتافيزيقا: الله، النفس، العالم، لا تُعالج هذه الأمور باعتبارها أمور ذهنية فقط، بل تحاول البحث عن أشياء موضوعية قائمة في نفسها. وليست ثانوية، لأن هذه الأحكام تعالج موضوعات تجريبية، و موضوعات الميتافيزيقا ليست تجريبية.

حرص كانط في تعريفه للميتافيزيقا، بوضع الحدود التي يجب أن لا يتعداها عقل الإنسان، لذلك سمي فلسفته بالنقدية، يحاول في هذا العلم، حل المشاكل الأساسية التي تشكل موضوعاته، وجود الله (تعالى) وحرية الإرادة وخلود النفس. وتوصل إلى أنه من المستحيل أن يثبت وجود الله بالعقل النظري، بل بالعقل العملي (كنا نقع في تناقضات لا مفر منها، في كل مرة نحاول الإجابة عن تلك الأسئلة الطبيعية، مثال: هل للعالم بداية، أم هل وجد منذ الازل؟ فإنه لا يمكن أن نكتفى بمجرد الاستعداد الطبيعي للميتافيزيقا، أي بالقدرة العقلية المحضة نفسها التي تتولد منها حقا ودائما، نوع من الميتافيزيقا (كائننا ما كان) بل يجب أن يكون من الممكن أن نتوصل بها الى التثبيت، إما من معرفة الموضوعات، أو من جهلنا لها)<sup>(٢)</sup>

### نقد العقل المحض:

في نقده العقل الخالص، حاول كانط الحسم في موضوعات هذه الأسئلة، (و قدرة العقل أو عجزه عن الحكم فيها على هذا النحو: كيف يمكن للميتافيزيقا كعلم

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٣

أن تكون؟<sup>(١)</sup> ليؤدي نقد العقل الخالص في النهاية وبالضرورة، إلى علم لا (يتراعى إلى حد مخيف، لأن لا عمل له مع موضوعات العقل التي تنتوع إلى ما لا نهاية، بل فقط مع العقل نفسه، ومع المشكلات التي تنبثق برمتها من صلبه، والتي تطرحها عليه، لا طبيعة الأشياء المختلفة عنه، بل طبيعته هو)<sup>(٢)</sup>

إن محاولة تغيير أسلوب الميتافيزيقا السابق، بالقيام بثورة كاملة فيها اقتداء بعلماء الهندسة والطبيعة، هي إذن شاغل نقد العقل النظري المحض<sup>(٣)</sup> والمعرفة النظرية الحقيقية متاحة في الرياضيات والعلم الطبيعي فقط. غير كإنط من دور الميتافيزيقا التقليدية، ورسم لها دورا جديدا، لا تخبر فيه عن شيء جديد عن العالم، وتكتفي بتحليل العقل الإنساني نفسه، والنظر في اللغة الفلسفية التي يستخدمها، وترك العلوم الطبيعية لعلمائها (مثل علمي الرياضة والطبيعة، الذين صاروا على ما هما عليه الآن، من جراء ثورة فجائية، هو مثال جدير بالعناية بما يكفي، لكي نتمعن في هوية التحول، في طريقة التفكير، الذي كان مجديا لها إلى ذلك الحد، فنحاول على الأقل تقليدهما في ذلك، وبقدر ما يسمح تمثيلهما وفقا للموضوعات)<sup>(٤)</sup>

وخير دور تقوم به الميتافيزيقا وبأحسن صورة، (نفترض أن على الموضوعات أن تنتظم هي وفقا لمعرفتنا، وهو ما يتوافق بشكل أفضل مع ما ننشده من إمكان معرفة قبلية بهذه الموضوعات، قيل أن تعطى لنا. والحق أن شأن ذلك، شأن الفكرة الأولى التي خطرت على بال كوبرنيكوس الذي لجأ، بعدما عجز

(١) المصدر نفسه: ص ٥٣

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٣

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٦

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٤



عن تفسير حركات الكواكب بأسرها تدور حول المشاهد، إلى التفكير ما إذا كان من الأنسب أن يجعل المشاهد يدور ليترك بالمقابل النجوم وشأنها<sup>(١)</sup> سماها بالفلسفة الترندالية لأنها معرفة (لا تهتم بعامة بالموضوعات، بقدر ما تهتم بطريقتنا في معرفة الموضوعات، من حيث يجب أن تكون ممكنة قبلها)<sup>(٢)</sup> النقد هو الفكرة التامة للفلسفة الترندالية، يتضمن هذا العلم: كلا من المعرفة التحليلية والمعرفة التأليفية القبليّة (لا يتقدم في التحليل، إلا بقدر ما يلزم من أجل محاكمة المعرفة التأليفية، محاكمة شاملة)<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٤

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٤

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٥

## الفصل الثاني: ملكة المعرفة عند كانت

فرعا المعرفة الإنسانية عند كانت هما الحس والعقل، الموضوعات معطاة لنا عن طريق الحس، يمد الانسان بالإدراكات الحسية، والفهم يجعل تعقل تلك الموضوعات ممكنا، يتولد عنها المفاهيم (تتطلقان من جذر مشترك ربما، إنما مجهول لدينا، هما: الحساسية والفاهمة، بالأولي تعطى لنا الموضوعات، أما بالثانية فتفكر) (١)

القضايا التحليلية توضح ما هو معلوم قليًا. والإنسان مفطور على طلب الإستزادة من المعرفة، فلا يقف عند القضايا التحليلية، يتخطاها إلى البحث في القضايا التركيبية. مصادره الحس والفهم والعقل. والإدراكات الحسية لا تنتظم من نفسها وتصير علمًا، إلا بوجود العقل، العالم الخارجي يواجه الحواس، لكي نحصل على المعرفة، يجب أن يوجد فهما للعالم الخارجي، بمفاهيم موجودة في العقل. جملة هذه المفاهيم تشكل ملكة الفهم أو قدرة الفهم، التي تمكن الانسان من الحصول على المبادئ العامة، والقواعد الموجودة في العقل.

### المبحث الأول: وسائل معرفة الظواهر:

يعرف عالم الظواهر بوسائل ثلاثة: الحس، والفهم أو الحدس (هو خبرة الوعي بالأشياء)، والعقل (القدرة على تلقى التصورات بالطريقة التي بها تتأثر بالموضوعات الوافدة، تسمى الحساسية، بواسطة الحساسية إنما تعطى لنا الموضوعات، وهي وحدها تزودنا بالحدوس. لكن الفاهمة هي التي تفكر هذه الموضوعات ومنها تتولد الأفاهيم. ويجب على كل فكر أن يكون على صلة في

---

(١) المصدر نفسه: ص ٥٦

النهاية بحدوس، سواء تم ذلك مباشرة، أم بطرق ملتوية بواسطة بعض العلاقات<sup>(١)</sup>

١- الحس (الإدراك الحسي): المصدر الأول للمعرفة، تحتاج الحواس للعقل، فالإنسان في العصور الماضية يجهل مفهوم الأجهزة العصرية، ليس لها مفهوم في عقله يدرك الإنسان بحواسه الخمسة، وما يقابله الإنسان في التجربة الحسية ليس سوى تأثيرات جزئية غير منتظمة، لا تتخذ صورة الإدراك الكامل إلا بعد تطبيق صورتين ذهنيتين عليها، ليس لهما وجود موضوعي خارج عقل الإنسان، بل مجرد صور، (أو أطر ذهنية) يتعامل بها العقل مع المحسوسات، هما المكان والزمان، وعندما يعرف العقل (تمام المعرفة قدرته بالنسبة للموضوعات التي تقدمها التجربة، حتى يصبح من السهل إذن أن يعين على نحو كامل وموثوق، نطاق وحدود الاستعمال الذي يمكن أن يحاوله خارج حدود كل تجربة)<sup>(٢)</sup> (إذا كانت الحساسية تتضمن تصورات قبلية، تشكل الشرط الذي بموجبه تعطى لنا الموضوعات، فإنها تنتمي إلى الفلسفة الترسندالية)<sup>(٣)</sup>

٢- الفهم (الحدس): هو وضع العقل للنسب بين مدركات الحواس، لكي تؤلف أحكامًا كلية ضرورية، والمعاني الذاتية التي تربط بين الظواهر المعروضة في المكان والزمان

**الحدس عند كانط:** هو ملكة المعرفة، قسمه بين حدسين، الحدس الحسي، معرفة تأتي عن طريق الحواس، و الحدس الفكري، أساس الفلسفة المثالية. الحدس في

---

(١) المصدر نفسه: ص ٥٩

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٤

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٦

اللغة: الفراسة يقال قاله بالحدس. وادراك الشيء إدراكاً مباشراً<sup>(١)</sup> هو الظن والتخمين والنظر الخفي، و اصطلاحاً: سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب<sup>(٢)</sup> هو شكل خاص من النشاط المعرفي، يعني المقدرة على فهم الحقيقة مباشرة، دون استدلال منطقي، يُدرك به ما هو معقول، وغير المعقول. الحدس "الفهم" هو الوسط بين الحس والعقل. والعقل بما لديه من صور ذهنية يرتفع بالمعرفة الحسية للأشياء، إلى معرفة عقلية، لما بين الأشياء الحسية من علاقات، وما يسيّرهما من قوانين. يصوغ العقل التجربة الحاصلة ويحولها إلى علم. لا يدرك العقل حقائق الأشياء في ذاتها، أي ما هو فوق الحس. يُطلق الحدس على إطلاع النفس إطلاعاً مباشراً، على ما يمثله لها الحس الظاهر أو الحس الباطن، من صور حسية أو نفسية، يكشف الذهن عن بعضها الحقائق، ليس بالقياس ولا بالاستقراء ولا بالاستنتاج، بل بالمشاهدة. الحدس نوعان:

أمبيري "تجريبي": هو الذي على صلة بالموضوع بواسطة الحس والمحض "القبلي": حدس نستقبله ليس مشتقاً من الأشياء الخارجية المادية، ينتمي إلى قدرة الانسان الحسية العلاقة بين الحدس القبلي والتجريبي علاقة الصورة بالمادة؛ تأتي المادة - وهي الحدوس التجريبية - من خارج، فيما تصدر الصورة عن طبيعة القدرة الحسية أثر موضوع على القدرة التصورية من حيث تتأثر به، هو الإحساس<sup>(٣)</sup>

و الظاهرة: الموضوع اللا-متعين لحدس أمبيري (وما يتناسب مع الإحساس

---

(١) المعجم الوجيز: ص ١٤٠، طبعة التربية والتعليم ٢٠٠٤

(٢) التعريفات: الجرجاني، ص ٧٣

(٣) نقد العقل المحض: ص ٥٩

في الظاهرة اسميه مادتها،أما ما يمكن متنوع الظاهرة من أن ينسق بموجب علاقات معينة،فأسميه صورة الظاهرة.وحيث لا تعطى لنا مادة أي ظاهرة إلا بعديا،فإنه يجب أن تكون صورتها قائمة قبليا في الذهن ومهيأة لها جميعا،ويجب أن يكون من الممكن بالتالي،النظر إليها بمعزل عن كل إحساس(١)

---

(١) المصدر نفسه:ص٥٩

## المبحث الثاني: المكان والزمان:

استطيقا الترندالية يطلقها كانت على علم كل مبادئ الإدراك الحسي القبلي "الاولي" في مقابل المنطق الترندالي الذي يتضمن مبادئ الفكر المحض "الخالص"، يوضح فيها نظرية الادراك الحسي، التي تستلزم بحثا في طبيعة المكان والزمان، وطريقة معرفة الانسان لهما (مجرد صورة الظاهرات، هي الشيء الوحيد الذي يمكن للحساسية أن تعطيه قبليا. ونحصل من هذا البحث، أن ثمة صورتين قبليا. ونحصل من هذا البحث، أن ثمة صورتين محضتين للحدس الحسي، بوصفهما مبادئ للمعرفة القبلية، هما المكان والزمان) (١)

في نظريته عن المكان والزمان، عرف كانط الهندسة بأنها: (علم يعين خصائص المكان تأليفيا وقبليا. فماذا يجب أن يكون إذن تصور المكان حتى تكون مثل تلك المعرفة ممكنة به؟) (٢)

وجوابه على ذلك: أن قضايا الهندسة ليست مشتقة من الخبرة الحسية، بل مستقلة عنها، صدقها مطلق وضروري، لا تعتمد على الإدراك الحسي، من الممكن تطبيقها على العالم الخارجي. يتسق العالم الحسي مع بديهيات الهندسة ونظرياتها، (إن القضايا الهندسية يقينية كلها، أعني، إنها مربوطة بوعي لضرورتها، على سبيل المثال: المكان ذو أبعاد ثلاثة وحسب. فمثل هذه القضايا، لا يمكن أن تكون أمبيرية، أو أحكام تجريبية، أو تشتق من مثل هذه الأحكام) (٣)

**المكان الطبيعي:** لا يهتم فيه بالجانب التجريبي في الإدراك الحسي، و يسأل

---

(١) المصدر نفسه: ص ٦٠

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٢

(٣) المصدر نفسه: ص ٦٢

عما إذا كان في القدرة الحسية عنصر قبلي لا تجريبي، والجواب عند كانط بالإيجاب، هذا العنصر القبلي يتضمن المكان والزمان. وبفضل القدرة الحسية يستقبل الانسان مفاهيم تلقائية (والأفهوم الترندالي للظواهرات في المكان، هو تنبيه نقدي إلى أنه، لا شيء مما هو محدوس بعامة في المكان هو شيء في ذاته، وليس المكان صورة للأشياء، قد تكون خاصة في ذاتها، بل إن الموضوعات ليست معروفة لدينا البتة في ذاتها، وأن ما نسميه موضوعات خارجية، ليس سوى مجرد تصورات لحساسيتنا التي صورتها المكان، ومتضايفها الحقيقي، الشيء في ذاته) (١) إذا انتزع الانسان تدريجيا كل معطيات الحس، التي نستعملها بالمفهوم التجريبي للجسم، مثل اللون والصلابة أو الرخاوة والوزن، أي كل معطيات الحس التي نستعملها، سوف يختفي الجسم، ويبقى المكان، لا يمكن تصور عدم وجود مكان، ويمكن تصور عدم وجود شيء في المكان. فمستقر المكان قبلي في معرفة الإنسان، لا يستمد من التجربة، بل تحتاجه التجربة لكي تتحقق (عندما أجرد تصوري لجسم من كل ما تفكره فيه الفاهمة، مثل الجوهر والقوة والانقسام.. الخ، ومن كل ما ينتمي إلى الإحساس، مثل اللانفاذ والصلابة واللون الخ.. يبقى لي مع ذلك شيء من ذلك الحدس المحض الذي يقيم قبلها في الذهن، بوصفه مجرد صورة الحساسية، حتى بمعزل عن أي موضوع متحقق للحواس، وعن أي إحساس) (٢)

يفرق كانط بين الظواهر والأشياء في ذاتها: يمكن للانسان معرفة الظواهر والتعامل معها، ومستحيل عليه معرفة حقيقة الأشياء في ذاتها بالتجربة، لأنها فوق

---

(١) المصدر نفسه: ص ٦٤

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٠

قدرتها، تتعامل التجربة فقط مع المحسوسات، تفيد بأن لكل موضوع مادي أو غير مادي خصائص، إذا جردناه منها، سيبقى ما لا يمكن نزعها، الجوهر أو الملازم للجوهر، والجوهر غير ظاهر للإنسان

**المكان عند كاتط:** إدراك قبلي "أولي"، ليس تصورا مستمدا من التجربة، بل خارج التصور، فلا يمكن تصور أي موضوع خارجي، دون تمثيل المكان الحاضر في الذهن كأساس. موجود كمعطى لا متناهي، والأمكنة هي مكان واحد، لا أسبقية بينها، ولو اختلفت. لا تتصور الأمكنة على التوالي، بل كامتداد لا متناهي مقره مفهوم قبلي، لا تتصور الظواهر إلا من خلال تمثله (المكان لا يمثل لا خاصية الأشياء في ذاتها، ولا هذه الأشياء في علاقاتها فيما بينها، أعني لا يمثل أي تعين لها يكون ملازما للموضوعات نفسها، ويبقى إذا جردنا الحدس من جميع شروطه الذاتية. لأنه ليس ثمة تعينات، لا مطلقة ولا نسبية، يمكن أن تحس قبل وجود الأشياء التي إليها ترجع، وقبلها بالتالي) (١)

المكان والزمان مفهومان قبليان، ينتميان إلى ملكة المعرفة للعالم الخارجي والعالم الداخلي، على حد سواء. بدون المكان والزمان تستحيل التجربة. فهما يشبهان المقولات، ونفس المقولات مرتبطة بهذين المفهومين، لا يتصور الإنسان كمية إلا في حيز مكاني وجهة معينة. والكيفية والإضافة لهما علاقة سببية حيز مكاني وجهة معينة. والكيفية والإضافة لهما علاقة سببية، وبين العلة والمعلول لا بد من فاصل زمني، قبل وبعد.

### الزمان:

الزمان ليس شيئا يوجد في الذات، أو يلزم الأشياء بوصفه تعينا. لو وجد في

---

(١) المصدر نفسه: ص ٦٢



الذات، يكون شيئاً متحقق الوجود وموضوع متحقق، ولو كان ملازماً للأشياء بوصفه تعيناً، فلا يمكن أن يعطى قبل الموضوعات بوصفه شرطهما، ولا يعرف ويفهم قبلها بقضايا تأليفية، الزمان شرط ذاتي، بموجبه يمكن لجميع المفاهيم أن تقيم فينا، لأنه سيوفر لصورة الحدس الباطن، أن تُتصور قبل الموضوعات، ومن ثم قبلها (إذاً كان بإمكانه أن أقول قبلها: أن جميع الظاهرات الخارجية تتعين قبلها، فإن المكان وبموجب علاقات المكان، فإنه يمكنني القول بشكل عام إطلاقاً وانطلاقاً من مبدأ الحدس الباطن: إن جميع الظاهرات بعامة، أي كل موضوعات الحواس هي في الزمان وتخضع بالضرورة لعلاقات الزمان) (١) فالزمان ليس أفهوماً إمبيرياً مشتقاً من أي تجربة، ذلك أن المعية شأنها شأن التالي لا تدرك، إن لم يشكل تصور الزمان أساساً لها. وبموجب هذا الشرط فقط يمكن تصور أن شيئاً يوجد مع شيء آخر في زمن واحد معاً، أوفي أزمنة مختلفة على التوالي (٢)

الزمان تصور ضروري "واجب بالواقع" يشكل أساساً لكل الإدراكات الحسية، فليس بوسعنا أن ننسخ الزمان بالنسبة إلي الظاهرات بعامة، على الرغم من أنه بالإمكان تجريد الزمان من الظاهرات. فالزمان إذن معطى قبلي، وفيه وحده فقط يكون تحقق الظاهرات ممكناً، ويمكن لهذه أن تختفي كلها معاً، أما هو نفسه (بوصفه شرط إمكانها العام) فلا يمكن أن يلغى (٣)، يمكن أن يلغى تصور الظواهر نفسها، ولا يلغى الزمان الذي هو قبلي، وتقوم عليه إمكانية فهم الظواهر تتأسس المبادئ اليقينية لعلاقات الزمان على الضرورة القبلية (فليس له سوى

---

(١) المصدر نفسه: ص ٦٦

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٤

(٣) المصدر نفسه: ص ٦٤

بعد واحد، فالأزمنة المختلفة ليست معا، بل تتألي، (في حين أن الأزمنة المختلفة لا تتألي بل تكون معا) لا يمكن لهذه المبادئ أن تستمد من التجربة، لأنه ليس بوسع هذه أن تعطى كلية صارمة ولا يقينا ضروريا... تلك المبادئ تصلح لقواعد بموجبها تكون التجارب بعامة ممكنة، فهي تعلمنا قبل التجربة وليس بعدها<sup>(١)</sup>

**للزمن بعد واحد**، والأزمنة المختلفة تتألي لا توجد معا "علاقة تتألي". كما أن الأزمنة المختلفة لا تتألي بل تكون معا "علاقة تجاور". الزمان صورة محضة لملكة المعرفة الحسية، ترتبط ظاهرة الحركة به، ولا يمكن تصور التغيير إلا من خلاله (أن تصوراتي يتلي بعضها بعضا، لكن ذلك يعني فقط أننا نعيها بوصفها في تتألي زمني، أي بموجب صورة الحس الباطن، مما يعني أن الزمان ليس شيئا في ذاته، ولا أي تعين ملازم للأشياء موضوعيا)<sup>(٢)</sup>

يؤمن كانط بالوجود الموضوعي للزمن، هو شرط قبلي لفهم الظواهر. وما عليه الأشياء في ذاتها، خارج عن قدرة الحواس، سيظل مجهولا تماما (للزمن واقعية أمبيرية "بعد التجربة"، وتنكر عليه الواقعية المطلقة و الترسندالية). واجهت هذه النظرية باعتراض بلغ حد الاجماع، هو (ثمة تغيرات متحققة.. والحال، أن التغيرات ليست ممكنة إلا في الزمان، فالزمن إذن شيء متحقق)<sup>(٣)</sup>

وافق كانت على الدليل بكامله، لم يجد أي صعوبة في الرد على هذا الاعتراض، (فالزمن هو على كل حال أمر متحقق، أعني أن الصورة المتحققة للحس الباطن. إنه إذن ذو واقعية ذاتية بالنسبة إلى التجربة الباطنة، أي أن لدي حقا تصور الزمان وتصور تعيناتي فيه. فهو إذن متحقق، لا كموضوع، بل كنمط

(١) المصدر نفسه: ص ٦٤

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٧

(٣) المصدر نفسه: ص ٦٧

تصور لذاتي بوصفها موضوعاً<sup>(١)</sup>. تبقى إذن واقعية الأمبيرية بمثابة شرط لجميع تجاربنا. أما الواقعية المطلقة، فلا يمكن أن تنسب إليه... فهو ليس سوى صورة لحدسنا الباطن. فإذا ما رفعنا الشرط الخاص بحساسيتنا، فإن أفهوم الزمان سيرتفع أيضاً، فهو ليس ملازماً للموضوعات نفسها، بل فقط للذات التي تحدسها<sup>(٢)</sup>

و سبب الاجماع على هذا الاعتراض، خاصة من قبل من ليس لديهم حجة مقنعة، ضد مثالية المكان (أنهم لم يكونوا يأملون بإظهار واقعية المكان المطلق إظهاراً يقينياً، حيث منعت عليهم ذلك المثالية، التي ترى أن تحقق الأشياء الخارجية، لا يخضع لأي برهان صارم، في حين أن تحقق موضوع حسنا الباطن (ذاتي وحالتي) واضح للوعي بلا توسط<sup>(٣)</sup>)

لم يخطر ببالهم أن هذين، ودون أن ننكر عليهما تحققهما كتصورات، لا ينتميان مع ذلك إلا للظاهرة التي لها دائماً وجهان: أول فيه، ينظر إلي موضوع في ذاته (بمعزل عن نمط حدسه، فيظل قوامه من جراء ذلك احتمالياً دائماً) وآخر فيه، ينظر إلى صورة حدس ذلك الموضوع، التي يجب أن نبحث عنها لا في الموضوع نفسه، بل في الذات التي يظهر لها الموضوع، دون أن يقلل ذلك، من تعلق الصورة حقاً وضرورة، بظاهرة ذلك الموضوع<sup>(٤)</sup>

**وضع المكان والزمان عند كانط لم يكن مستقلاً، لهذا كانت الأشياء في ذاتها مجهولة (الزمان المكان مصدران معرفيان، يمكن أن نستمد منهما قبلياً معارف تأليفية متنوعة، كتلك التي تعطي عنها الرياضة المحضة، مثلاً ساطعاً بالنسبة الى**

(١) المصدر نفسه: ص ٦٧

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٨

(٣) المصدر نفسه: ص ٦٨

(٤) المصدر نفسه: ص ٦٨

معرفة المكان علاقته. ذلك أنهما معا يعدان صورتين محضتين لكل حدس حسي، وأنهما يجعلان بذلك القضايا التأليفية القبلية ممكنة<sup>(١)</sup> المكان والزمان (لا يتعلقان بالموضوعات، إلا من حيث ينظر إليها بوصفها ظاهرات، وليس من حيث تعد أشياء في ذاتها. والظاهرات تشكل وحدها حقل مصدقياتهما، فإذا ما خرجنا منه، فلن نجد لهما أي استعمال موضوعي. وفيما عدا ذلك، تخلي واقعية المكان والزمان الثقة كاملة بالمعرفة التجريبية، لأننا دائما على يقين بذلك، سواء كانت تينك الصورتان ملازمتين بالضرورة للأشياء في ذاتها، أم لمجرد حدسنا بالأشياء)<sup>(٢)</sup>

**استطيقا الترسدالية:** يطلقها كانت على علم كل مبادئ الحس القبلية، أما العلم الذي يتضمن مبادئ الفكر المحض (فهو العلم الذي سيعين أصل معارفنا ونطاقها ومصداقيتها الموضوعية، يسمى المنطق الترسدالي، لأن عمله فقط مع قوانين الفاهمة والعقل، فقط من حيث هو متعلق بالموضوعات قبليا، لا كما يتعلق المنطق العام بالمعارف العقلية الأمبيرية أو المحضة، دونما تمييز)<sup>(٣)</sup>

### **المبحث الثالث: العقل "المنطق الترسدالي":**

للولصول إلى العلم اليقيني يجب أن تسلك المعارف الخاصة بالأمر العقلية، سبل العلم الأمانة التي تظهر (بناء على النتيجة، فإذا ما تعرفت المعالجة، عندما تدنو من الغاية... فعندئذ يمكن الاقتناع، بأن مثل هذه الدراسة، لاتزال بعيدة كل البعد، عن انتهاج درب العلم الأمانة، بل إنها مجرد تخبط

(١) المصدر نفسه: ص ٦٨

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٨

(٣) المصدر نفسه: ص ٧٨

عشوائى،لذا يمكن عد العثور المحتمل على هذه الدرب بمثابة، اسداء خدمة للعقل)(<sup>(١)</sup>

لقد سلك المنطق هذه الدرب الامنة منذ قديم الزمان، عرف المنطق بتعريف دقيق،اختص بالشرح الواضح للقواعد الصورية للتفكير عامة،والبرهان عليها(سواء كان هذا التفكير قبليا أم أمبيريا،وأيا كان أصله أو موضوعه،وسواء اصطدم في ذهننا بعوائق عرضية أم طبيعية)(<sup>(٢)</sup>).

ولا يدين المنطق بالنجاح الذى أحرزه إلا إلى اقتصاره الذى يؤهله،بل يجبره على التجرد من موضوعات المعرفة كلها،ومن الفوارق فيما بينها (<sup>(٣)</sup>)

يواجه العقل "العقل النظري" صعوبات كثيرة،تمنعه من الحصول على العلم اليقيني،عندما لا تنحصر،و تتعدى المعالجة إلى الموضوعات،(عليه يشكل المنطق،بوصفه تمهيدا،نوعا من المدخل وحسب إلى العلوم،لكن على الرغم من إننا،نفترض المنطق عند الكلام على المعارف،من أجل الحكم عليها،إلا أن البحث عن اكتسابها،يجب أن يتم في ما يسمى،أصلا وموضوعيا بالعلوم)(<sup>(٤)</sup>)

عقل الإنسان يشكل المحسوسات،ويرتبها على شكل أفكار،ويحوّل التجارب المتعددة إلى صورة فكرية مرتبة.عندما تحدث الظاهرة أمام العقل،يتعامل معها من خلال الحدس ثمّ الفهم.عند ملاحظة العقل للتجربة،يضيف إليها مفهومي المكان و الزمان (الحدس)،ثم يستنبط مفاهيمها ليحولها إلى أفكار.كما حدث مع

---

(١) المصدر نفسه:ص٣١

(٢) المصدر نفسه:ص٣١

(٣) المصدر نفسه:ص٣٢

(٤) المصدر نفسه:ص٣٢

"تفاحة نيوتن" التي اثبت بها قانون الجاذبية

ميز كانت في نظرية المعرفة، بين عالم الظواهر وعالم الأشياء في ذاتها، بين الأشياء كما تبدو لنا من خلال التجربة المعرفية، أي طبيعة الموضوعات وترابطها في التجربة عامة و سماه (عالم الظواهر)، و بين الأشياء كما هي في الواقع والحقيقة، كيف يتكون الموضوع ومما يتكون، و سماه (عالم الأشياء في ذاتها)

**قسم العالم إلى: ظاهر و باطن، و معرفة الانسان محصورة بعالم الظواهر الحسية، المشروط بالمكان و الزمان، و تنطبق عليه مقولات العقل الأولية، العقل "النظري" يفرض قوانينه على الأشياء ويعطيها صفة الوجود. قدرة العقل الإنساني محدودة على الإدراك غير مطلقة، تقتصر على عالم الظواهر المحدد بالعالم الحسي، لا يستطيع ادراك عالم الحقائق "الأشياء في ذاتها" بالرغم من وجوده**

العقل عند التجريبيين ليس لديه صور عقلية قبل التجربة. يفرض قوانينه على الأشياء، و الأشكال القبلية للحواس "المقولات"، و المكان والزمان. و المعرفة نسبية، لأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يعرف الأشياء في ذاتها، بل يعرف الظواهر فقط. أي الأشياء كما تظهر لعقلنا من خلال الأشكال

**علاقة المعاني العقلية بالمدركات الحسية، الافكار بدون محتوى عند كانط**  
خاوية ليس لها قيمة، والحواس بدون مفاهيم عمياء. إذا قلت أن هذه الكلمة تعنى كتابا بالعربية يستقر في الذهن فورا صورة واضحة عن المعنى، فمعنى الترساندالي "المتسامي" أنه ينطلق من شيء معين، يحاول الوصول الى أسباب وجوده، و أساسه الذي يقوم عليه، (الأفكار من دون مضمون فارغة، والحدوس من

دون أفاهيم عمياء) (ولا يمكن لهاتين القدرتين أو الملكتين أن تتبادلا الوظائف. فلا يسع الفاهمة أن تحس شيئا، ولا الحواس أن تفكر شيئا، باتحادهما فقط، يمكن أن تتولد المعرفة<sup>(١)</sup>). يختلف كانط بذلك مع الحسيين، لان المعاني لديهم لا تُستفاد من الأشياء، ومع العقليين بأن الأشياء لا تُستفاد من المعاني. المعاني هي الشروط الأولية التي تتعلّق بها المعرفة الحسية.

لأن للمعرفة مصدرين: العقل والحس، أحد العنصرين مثالي، يتمثل في الصورة الأولية للتجربة (أي سابقة للتجربة)، هي الزمان و المكان و المقولات. وجودها في العقل بالفطرة، لأنها لا توجد في الواقع بصورتها الكاملة. و العنصر الآخر تجريبي واقعي، يتمثل في المواد اللامحدودة، التي تمدّنا بها الأشياء ذاتها

**العقل عند كانط:** هو القدرة التي تمنحنا مبادئ المعرفة القبلية، فإن العقل المحض هو ذلك الذي يتضمن مبادئ معرفة شئ ما على نحو قبلي تمامًا<sup>(٢)</sup>. العقل "النظري" وحده ليس أساس المعرفة العقلية، لا يقدم إلا مقولات فارغة المحتوى و المضمون. و كذلك الحس لا ينقل إلا معارف حسية مشتتة و مبعثرة. شرط المعرفة العقلية الرّبط بين العقل و الحس نأخذ من الحس تصورات حسية مبعثرة لا رابط بينها. يجمع العقل و يألف بين المعارف الحسية الجزئية، بوضعها في قوالب المقولات، ونقد المعرفة يبين ما هو آتٍ من الخارج عن طريق، المعرفة "الترسندالية" (إن الفلسفة الترسندالية هي إذن حكمة للعقل المحض إنما الاعتباري وحسب. لأن كل ما هو عملي، من حيث يتضمن

---

(١) المصدر نفسه: ص ٧٥

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٤

محرضات، يرجع إلى المشاعر التي تنتمي إلى المصادر الأمبيرية للمعرفة<sup>(١)</sup>  
المعرفة الترندالية: هي مبدأ ذاتي للفكر، متقدّم على التجربة تقدّمًا منطقيًا لا  
تجريبيًا، جعل التجربة ممكنة، بتركيب موضوعات محسوسة وأحكام كلية يستعمل  
على وجه مشروع، و غير مشروع، عندما يُستعمل خارج نطاق التجربة، أي على  
مطلق الوجود

في العقل شوق وشغف دائم نحو المعرفة، ناشئ عن متطلبات أخلاقية  
عليا، وتحت الحاح المعرفة، يسعى عقل الانسان، إلى حل مشكلة قدم أو حدوث  
العالم، و مشكلة الله، باعتباره موجودا جوهريا بصورة مطلقة. من المعاني ما  
يجاوز حد التجربة، مثل: الله، النفس، والعالم (إن أحكامنا فيما يتعدى جميع  
حدودها، بواسطة أفاهيم، لا يتناسب معها، أي موضوع، قد يعطى في التجربة)<sup>(٢)</sup>  
ينتهي الكلام عند كانط عن العقل النظري، وما يحتويه من مبادئ، بأنه ليس  
كافيا، للمعرفة التي تدل على وجود الله الحق، والحياة الاخرة. إنما يقوم ذلك على  
العقل العملي، القائم على الخير والشر، والذي يعطي ذلك هو خالق العالم

---

(١) المصدر نفسه: ص ٥٦

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٧



### الفصل الثالث: فلسفة الأخلاق عند كانط "العقل العملي"

اعطى كانت للميتافيزيقا قيمة عملية أخلاقية لأنها فطرة، وضرورة، تمنح أفعال الإنسان الغائية والمعقولة، قائمة على العقل العملي "افعل ولا تفعل" (لولا أن هناك كائنا أصليا متميزا على العالم، ولو كان العالم بغير خالق، ولو كانت إرادتنا غير حرة، ولو كانت الروح فانية كالمادة، إذن لفقدت الأفكار والمبادئ الأخلاقية، كل صحتها)<sup>(١)</sup>، ولعجز العقل النظري عن البرهنة على موضوعات الميتافيزيقا، لجأ كانط إلى العقل العملي القائم على المشهورات، "افعل ولا تفعل" وظيفته إثبات هذه الموضوعات. اثبات وجود خالق للعالم، موجود أسمى من العالم كله، يعطي الخير التام والنعيم المقيم

**الأدلة التقليدية لإثبات وجود الله: نقض "أبطل" كانط أدلة العلماء التقليدية**  
لإثبات وجود الله، لأنها تبدأ من العالم، وهي بداية غير مشروعة تنتمي إلى عالم الأشياء في ذاتها، فهي أدلة غير يقينية، وليس للإنسان أن يصدر إلا الأحكام التي تتعلق فقط بعالم الظواهر (عندما نستدل من وجود الأشياء في العالم علي علتها، ذلك باستدلال ينتمي إلى الاستعمال الاعتباري للعقل، وليس إلى استعماله الطبيعي، لأن هذا الأخير لا ينسب إلى أي علة الأشياء ذاتها (الجوهر) بل فقط ما يحصل، أعني حالاتها بوصفها حادثة أمبيريا)<sup>(٢)</sup> (وإنني أزعم [هذا مذهبه، والزعم مطية الكذب] أن كل المحاولات لاستعمال محض اعتباري للعقل بصدد الالهيات، هي محاولات عقيمة كليا، وهي بموجب قوامها الداخلي باطلة)<sup>(٣)</sup> (لأن

(١) قصة الحضارة: بول ديوارت، ترجمة فؤاد أندرواس ٢١٨/٤١ الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١

(٢) نقض العقل المحض: كانط، ص ٣١٥

(٣) المصدر نفسه: ص ٣١٥

الموضوع لن يكون هنا موضوع تجربة ممكنة. لكن مبدأ السببية الذي لا يصدق إلا في حقل التجارب، والذي لا استعمال له ولا حتى دلالة خارجية، سيكون هنا منحرفاً عن قصدته كلياً<sup>(١)</sup>

لا يعرف الانسان من الأشياء إلا ظواهرها (فينومينا)، ويجهل ذاتها (نومينا) ولا يدرك

الحقيقة المطلقة. عقله "النظري" عاجز عن إثبات أو نفي وجود الله، لأنه سيقع في التناقض، بافتراضه أنّ الله هو "السبب الأول" سيتعارض مع قانون "أن لكل سبب مسبب" (وحتى يمكن لقانون السببية الذي يصدق أمبيرياً، أن يؤدي الى الكائن الأول، يجب أن ينتمي هذا الكائن الى سلسلة كل موضوعات التجربة، لكنه سيكون مشروطاً بدوره، شأنه شأن كل الظاهرات)<sup>(٢)</sup>

في هذه المسألة لا يعمل العقل "النظري"، ولا يطبق المنطق، لأنّ الله خارج العالم الحسي، لا يخضع لقوانين المكان والزمان والسببية، وغيرها من الآليات العقلية، الخاصة بالممكن عند الفلاسفة والحادث عند المتكلمين التي ليس لها معنى بذاتها، ما لم ترتبط بالمحسوسات والظواهر. وبذلك انقطع طريق العقل إلى الله، واستحال الوصول إليه نظرياً عن طريق المنطق

يمكن معرفة الله عقلياً، بالعقل العملي الذي مقتضاه، افعّل ولا تفعل، عن طريق الأخلاق وقوانينها، لأنها استقرائية عملية، وليست استدلالية قياسية (فتوحى الأخلاقية بصورة عن قوة من شأنها أن تصون هذا الترابط، غير أن الرابطة بين الدين والأخلاقية ليست منطقية، إذ تقوم على فعل من أفعال الايمان، الذي يفسر

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣١٥

(٢) نقض العقل المحض: كانط، ص ٣١٥

الاتساق بين الحرية الأخلاقية والطبيعة المجبرة في سيرها السببي، ولولا تفسيرنا ذلك الاتساق بالإيمان لظل أمرا ملغزا. وافساح المكان لهذا الفعل من أفعال الإيمان بوجود الله مآثرة أعظم في نظر كانت من ايراد البراهين الباطلة على هذا الوجود<sup>(١)</sup>

### المبحث الاول: المعرفة النظرية و العملية عند كانط:

**المعرفة النظرية:** تلك التي بها أتصور ما يجب أن يكون. وحسب ذلك، سيكون الاستعمال النظري هو الذي به أعرف قبليا (على نحو ضروري) إن شيئا ما، هو. و الاستعمال العملي: هو الذي يجعلني أعرف قبليا ما يجب أن يحصل<sup>(٢)</sup>. تكون المعرفة القائمة على العقل النظري اعتبارية انتزاعية، ليس لها وجود حقيقي (عندما تدور على موضوع أو أفاهيم موضوع، لا يمكن أن نصل في أي تجربة. وتضاد معرفة الطبيعة التي لا تدور على أي موضوعات، ولا على أي محمولاتها، غير تلك التي يمكن أن تعطى في تجربة ممكنة<sup>(٣)</sup>)

**المعرفة العملية:** لا يستطيع الإنسان بالعقل النظري إثبات وجود الله "نظريًا"، لأن فيه مجادلات، و قال كانط بضرورة التسليم بوجوده "بالعقل العملي" أخلاقيا، القائم على، افعل ولا تفعل، آمن تعرف ربك، بالخير والشر تعرف ربك، كأنها صوفية من كانت وتطهير للقلب، لأن العدالة تقتضي أن يعاقب المسيء ويثاب المحسن، ولا يحدث هذا دائمًا في الحياة الدنيا، فلا بد من يوم آخر، يعاقب فيه المسيء ويثاب فيه المحسن، يوجد موجود أسمى هو الله يعطي الثواب

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناتا ري، ترجمة فؤاد كامل، ص ٢٥٤، [المركز القومي للترجمة](#)

(٢) نقض العقل المحض: كانط، ص ٣١٤

(٣) المصدر نفسه: ص ٣١٤

والعقاب) اذا لم تتخذ القوانين الخلقية كأساس، وإذا لم نستخدمها كمرشد، فلا يمكن أن يكون هناك أي الهيات للعقل. ذلك أن كل مبادئ الفاهمة التأليفية هي ذات استعمال محايت- مختلط بالحس -، في حين أن معرفة كائن أسمى، تستلزم استعمالاً مفارقاً، ليست فاهمتنا معدة له) (١)

### حرية الانسان و قوانين الطبيعة:

قسم كانت العالم إلى: عالم الظواهر التجريبية، وعالم الأشياء في ذاتها، التي لا تخضع لمقولات العقل وتصوراتها وقوانينه، كالمكان والزمان والعلية (السببية). تحكم العلية على عالم الظواهر بشكل حتمي لا مجال فيه للحرية ولا للاستثناء. فالإنسان ظاهرة كغيرها من الظواهر، يطبق عليه قانون العلية، وقوانين العقل النظري، الذي يحكم بإمكان تطبيق التجربة عليه.

كل فعل يقوم به الانسان، وكل سلوك بوصفه سلوكاً تجريبياً، يخضع لقوانين الطبيعة، يمثل ذلك جبرية على الانسان، فأين حريته إذن؟ كل شيء في هذا العالم، محكوم بقوانين الطبيعة، حتى جسم الانسان الذي يشعر بامتلاكه، فما قيمة الأخلاق بدون حرية؟ (لن يكون بإمكانني أن أقول عن الماهية الواحدة بعينها، على سبيل المثال عن النفس البشرية، إنها ذات إرادة حرة، وإنها خاضعة في الوقت نفسه للضرورة الطبيعية، أي إنها ليست حرة، دون أن أقع في تناقض صارخ، ذلك لأنني تناولت النفس في كلتا القضيتين بالمعنى الواحد عينه، أي كشيء بعامة "شيء في ذاته"، ولم يكن بإمكانني، أن أتناولها بصورة أخرى دون نقد مسبق) (٢)

حقيقة الأشياء كما توجد هي نفسها "الأشياء في ذاتها" غير متاحة من حيث

(١) المصدر نفسه: ص ٣١٥

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٨

المبدأ للمعرفة النظرية الإنسانية، متاح لها فقط معرفة "الظواهر"، التي تتكشف عن طريق الخبرة والتجربة، فحدد كانط (ينبغي أن يكون بإمكاننا على الأقل، أن نفكرها بما هي كذلك، وإلا ترتب عن ذلك خلف: أن يكون ثمة ظاهرة من دون أن يكون ثمة شيء ليظهر، والآن لنفترض أننا لم نقم على الإطلاق بالتمييز الذي أوجبه هذا النقد، بين الأشياء بوصفها موضوعات للتجربة، وبين هذه الأشياء عينها، بوصفها أشياء في ذاتها، فسيكون عندها مبدأ السببية، وبالتالي الآلية الطبيعية، لتعيين الأشياء ساري المفعول بلا ريب، على كل الأشياء بعام، بوصفها عللا فاعلة) (١)

البرهنة على القضايا المتعارضة ممكن، لأن العقل في حقيقته مليء بالمتناقضات، هذا التناقض يحد من المعرفة لصالح الإيمان، بالترقية بين "الظواهر" و "الأشياء في ذاتها" و الاعتراف بأنها غير ممكنة المعرفة. فالإنسان في آن واحد ليس حرا "كموجود في عالم الظواهر" وحر "كذات في العالم المجاوز للحس مستحيل المعرفة" نتناول الموضوع بمعنيين مختلفين، أي كظاهرة وكشيء في ذاته، وإذا كان تسويغه للأفاهيم الفاهمية صحيحا، وكان مبدأ السببية أيضا لا ينطبق بالتالي إلا على الأشياء بالمعنى الأول، أي من حيث هي موضوعات للتجربة وكانت الأشياء عينها لا تخضع لهذا المبدأ بالنظر الى المعنى الثاني. فعندئذ نحسب الإرادة الواحدة عينها في الظاهرة (في الأفعال المرئية) خاضعة بالضرورة لقانون الطبيعة ومن ثم غير حرة، دون أن ينتج عن ذلك تناقض) (٢)

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٧

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٨

## مصدر القوانين الأخلاقية:

القوانين الأخلاقية مصدرها "الشيء في ذاته"، تعين هذه القوانين الإرادة الإنسانية، وتوجهها نحو هذا الفعل أو ذلك. هي ليست نابعة من عالم الظواهر أو التجربة، المحكوم بالقوانين الطبيعية الحتمية، التي لا تسمح بأي استثناء، فلا تسمح بالحرية، الشرط الضروري للقوانين الأخلاقية. فكيف تكون الحرية ممكنة مع أن العالم محكوم بالحتمية؟

لأن الحرية عند كانط علة تلقائية ليس لها علة، هي السبب الأول الذي ينتج عنه عالم الظواهر التجريبي "الفينومين" صادر عن عالم الأشياء في ذاتها "النومين"، لا يعرف الانسان عنه شيئاً لأنه غير مكاني وغير زمني. الحرية في النومين هي الطرف الأول الذي تنطلق منه سلسلة الأسباب. تنقسم ذات الإنسان إلى: أنا ظاهرية تجريبية خاضعة لقوانين الطبيعة، وأنا متعالية نومينية غير خاضعة للطبيعة (يظل الانسان بوصفه كائناً حساساً، خاضعاً لتبعية القانون الطبيعي. إلا أن إرادته تكون حرة، وبفضل العقل يشارك الانسان في العالم العقلي (الفهم)، وبذلك تبدو حرية الإرادة بشكل إيجابي. والعقل المحض (باستقلالية في مبدأ الأخلاقية، الذي يحدد من خلالها إرادة العمل) (١)

السلوك الظاهري خاضع لقوانين الطبيعة، كالجاذبية والعلية وغيرها، و الإرادة حرة تماماً، لأنها السبب الأول والتلقائي لهذا السلوك. الإنسان: "شيء في ذاته" باعتباره حاملاً للحرية، و "ظاهرة" باعتباره خاضعاً للطبيعة، وكثير من الإرادات البشرية قد يعينها ويحددها الشر، أو توجهها اللذة غير المبالية بالخير (إن المبادئ العليا والأفاهيم الأساسية للأخلاق، على الرغم من كونها معارف قبلية] فلسفة

(١) أطلس الفلسفة: بيتر كونز مان، ترجمة جورج كتورة، ص ١٤٣، المكتبة الشرقية

سابقة]، لا تنتمي إلى الفلسفة الترساندية، لأن أفاهيم اللذة والألم والرغبات والميول.. الخ، هي جميعا من أصل أمبيري، يجب أن تدخل مع ذلك بالضرورة في بناء سستام الأخلاق المحضة، لا بوصفها أساسا لوصايا أخلاقية بل، بوصفها عائقا، يجب تخطيه في أفهوم الواجب، أو بوصفها جاذبا يجب ألا نجعل منه مبدأ محفزا(١)

المعرفة عند كانت هي الوظيفة النظرية للعقل الإنساني، أما وظيفته العملية فمجالها البحث الأخلاقي، تكون مهمته الإجابة عن سؤال ماذا ينبغي للإنسان أن يعمل ليكون عمله أخلاقيا. لكي تتصف أفعال الإنسان بالقيمة الأخلاقية يجب أن تتبع مما يسميه بالإرادة العاقلة أو الخيرة، إرادة غير مشروطة تتصف بالخير المطلق، تجعل أفعال الإنسان منزة عن أي مصلحة أو منفعة (إن احترام القانون الأخلاقي والتوق إلى السعادة هو المبدأ الوحيد الذي يوجه الإرادة. أما بالنسبة للإنسان، وهو الكائن الحسي، فإن السعادة يجب أن تكون ضمنا في الخير الكامل)(٢)

**الفعل الأخلاقي يصدر عن مبدأ الواجب في ذاته، لا انتظارا لما يترتب عليه** من غايات خارجية ذاتية، كما في بعض المذاهب الأخلاقية الأخرى. يفرق كانت بين: الأوامر الأخلاقية المقيدة أو المشروطة بغايات معينة مثل، علاج الطبيب للمرضى في مقابل المال، والأفعال الصادرة عن هذا النوع من الأوامر، تحقق غالبا منفعة شخصية، أو تكون مصحوبة بعواطف ورغبات معينة، فالشخص الذي يعمل الخير، ليقال أنه خير، لا يكون لفعله قيمة أخلاقية، لأنه يهدف من خلاله، إلى

(١) نقض العقل المحض: كانط، ص ٥٦

(٢) أطلس الفلسفة: بيتر كونز مان، ترجمة جورج كتورة، ص ١٤٣

تحقيق غاية خارجية ذاتية، هي اشباع رغبته، في أن يقال عنه أنه خير، لا بد أن يكون خير في نفسه خير في ذاته

**الأوامر المطلقة:** هي الأوامر غير المقيدة وغير المشروطة، بأي شرط سوى الإرادة المطلقة "الفعل الأخلاقي". والانسان بطاعته لهذا النوع من الأوامر، يسعى إلى تحقيق الخير في ذاته. فعله له قيمة أخلاقية كاملة، لأنه صادر عن مبدأ الواجب للواجب لكي تتحقق أخلاق الواجب عند كائنه، يجب على الإنسان الإيمان والتسليم بثلاث مسلمات، أنكر بحثها نظرياً، واثبتتها عملياً، سماها مسلمات العقل العملي هي حرية الإرادة، وخلود النفس، ووجود الله (وإذا شئنا للصفة الأخلاقية والنظام الاجتماعي ألا يعتمد كلية على الخوف من القانون، فلا بد لنا من دعم الإيمان الديني، ولو بوصفه مبدأ منظماً، ويجب ان نسلك كأننا نعرف أن هناك إليها، وأن نفوسنا خالدة، وأن إرادتنا حرة) (١)

**الأخلاق الإنسانية قائمة على الأمر والنهي، أي أفعل ولا تفعل، هذا هو قانون العقل العملي.** لو لم يكن الانسان حراً في القيام بهذا الفعل أو تركه، ما كان للأمر والنهي أي معنى، ولم يكن للأخلاق أي وجود (ليس بي حاجة من أجل الأخلاق سوى الى ان تكون الحرية لا متناقضة ذاتياً والى ان تستطيع ان افكرها على الأقل دون ان يكون بي حاجة إلى أن أستزيد، وبما أنها بذلك لا تضع عائقاً في وجه الآلية الطبيعية للفعل الواحد عينه) (٢)

### **المبحث الثاني: الفوائد الإيجابية لمبادئ العقل المحض النقدية عند كانط:**

١- أن الاخلاقيات تحافظ على موقعها، وكذلك الطبيعيات، الأمر الذي لم يكن

(١) قصة الحضارة: بول ديوارت، ٢١٨/٤١

(٢) نقض العقل المحض: كانط، ص ٣٨



ليحدث، لولم يعلمنا النقد مسبقاً، بجهلنا الحتمي، إزاء الأشياء في ذاتها، ولو لم يحصر، كل ما يمكن أن نعرفه نظرياً، في مجرد ظاهرات<sup>(١)</sup>

٢- عدم التسليم بوجود الله والحرية والخلود، لصالح الاستعمال العملي الضروري للعقل، (إن لم أنكر، في الوقت نفسه، علي العقل الاعتباري دعواه برؤى مفرطة، لأن عليه من أجل بلوغ هذه الرؤى، أن يستعمل تلك المبادئ، التي لا تطل بالفعل إلا موضوعات التجربة الممكنة. فإذا طبقت مع ذلك على ما لا يمكن أن يكون موضوعاً للتجربة، فستحوطه حقاً، وفي كل الأحوال، إلى ظاهرة، وتعلن إذن امتناع كل توسع عملي للعقل المحض. لذا كان على أن أنسخ القلم كي أفسح في المجال للإيمان)<sup>(٢)</sup>

٣- إن الأدلة على خلود النفس بعد الموت (المستمد من بساطة الجوهر) و الدليل على حرية الإرادة (في معارضة الآلية العامة من خلال التمييزات الدقيقة، إنما العاجزة، بين الضرورة العملية والضرورة الموضوعية) و الدليل على وجود الله (من أفهوم الكائن الأكثر واقعية (من عرضية المتغير ووجوب المحرك الأول) لا تصل الي الجمهور، وتفتق العامية من الناس، ولا تأثر فيهم أدنى تأثير، لأن ملكة الفهم لديهم، ليست مؤهلة لذلك (ففي حال لم يحصل هذا، ولم يكن من الممكن توقع حصوله أبداً، بسبب أن الفاهمة البشرية العامية غير مؤهلة، لمثل تلك الاعتبارات اللطيفة)<sup>(٣)</sup>

**في خلود النفس:** يستدل كانت على (الاستعداد الملاحظ في طبيعة كل إنسان، الذي لا يرضى أبداً بما هو زمني (من حيث لا يتسع لكل مقاصده) أن يخلق

(١) المصدر نفسه: ص ٣٨

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٩

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٩

الأمل بحياة أخرى).خلود النفس من المبادئ الدينية والميتافيزيقية التي أسس عليها كانط أخلاق الواجب،فعلى الانسان أن يؤمن بخلود الروح،من أجل أن يفتح أمامه فرص غير متناهية من السعادة،لا يحققها في حياته الدنيا.إذا فعل الانسان خيراً،ولم ينل عليه جزاء في الدنيا،إذا فنيت النفس،فقد ظلمت،و بخلودها،يتحقق لها العدل في الحياة الآخرة،التي تتوحد فيها الفضيلة مع السعادة

**وفي حرية الإرادة،**(مجرد التوضيح البين للواجبات في معاكسة كل تطلعات الميول كافيًا لتوليد الوعي بالحرية)،حرية الإرادة هي أساس الفعل الاخلاقي الصادر عن مبدأ الواجب عند كانت "لا توجد سلطة تأمره أن يفعل ذلك أو يوجد أي إلزام".وجود الواجب يدل على وجود الحرية،و نسبة الواجب للإنسان تعنى قدرته على أدائه،وإلا لما تيسر له أن يقوم بواجبه،الذى في أساسه تشريع حر للإرادة،ومسؤولية عن الأفعال الصادر عنه

**وفي اثبات وجود الله:**(النظام والجمال والعناية،أعني في حال كانت كل هذه الصفات العظيمة والبادية في كل مكان في الطبيعة،كافية وحدها أن تولد الاعتقاد بخالق عظيم وحكيم للعالم)،يجب أن يؤمن الإنسان بوجود الله باعتباره،علة الارتباط بين السعادة والفضيلة في الحياة الآخرة،و عدالة الله وحكمته تقتضى استحقاق السعادة،للفضلاء الذين لم يحققوا سعادتهم في الحياة الدنيا.هذه الأدلة من العقل العملي،هي الكافية وحدها(لانتشار تلك القناعات،من حيث هي قائمة على أسس عقلية في أوساط الجمهور)(<sup>١</sup>)

---

(١) المصدر نفسه:ص٣٩

### المبحث الثالث: كانط بين المعرفة العقلية والحسية:

في المعرفة العقلية والحسية: جمع كانط بين الفلسفة العقلية، التي يشكل عقل الانسان فيها أساس كل معرفة، وبين الفلسفة التجريبية، التي فيها الحواس أساس معرفة العالم، وأضاف للفلسفتين تجارب البشر من أديان و معتقدات، تأتي العقائد الأساسية أولاً، سابقة على أي تجربة أو خبرة، قد تتاح للإنسان، الذي يضيف لهذه العقائد، ما يحسه من حوله، ليتيسر له فهم هذه التجارب (فنحن لا نستمد عقائدنا في العرف الشائع من خبرتنا وتجاربنا، لكن نستمد الخبرة والتجارب من هذه المعتقدات)(<sup>١</sup>)

أثر في تفكير كانط، اتجاهان رئيسيان من اتجاهات (الفلسفة الاوربية، أحدهما النزعة العقلية التي وصلته عن طريق اساتذته بالصورة التي صاغها بها لينتز وفولف، والتيار الآخر هو النزعة التجريبية التي شعر بتأثيرها شعورا قويا، حين وقع على بعض كتابات هيوم في ترجمتها الألمانية)(<sup>٢</sup>)

المعرفة عند العقليين ممكنة بالعقل وحده، وعند التجريبيين ممكنة بالتجربة الحسية. تجاوز "كانط" العقل و الحس، بنظرية النقدية، جمع فيها بين التجربة والعقل، فلا معنى لأحدهما بدون الآخر، تتميز فيها أحكام التجربة بالواقعية، وأحكام العقل بالضرورة، فيجب أن يكون العلم واقعا ضروريا، لينتج معرفة حقيقية (و توجد أشكال فطرية من الادراك العقلي أو الفكر، مستقلة عن التجربة، هي تشكلها، قد سماها كانت المقولات)(<sup>٣</sup>)

(١) الفلسفة ببساطة: برندان ولسون، ترجمة أصف ناصر، ص ١٤٣، دار الساقي ٢٠٠٩م

(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناتا ري، ترجمة فؤاد كامل: ص ٢٤٥

(٣) قصة الحضارة: ول ديوارت ٢١٤/٤١

المقولات العقلية معرفة نظرية، ليس لها قيمة أو معنى بدون التجربة، هي روابط لتوحيد التجربة، وليست أفكاراً أو معاني فطرية. والتجربة الحسية بدون المقولات لا فائدة منها، هي مادة المعرفة، يجوز الشك فيها لولا العقل لبقيت التجربة غامضة، فهو يمتلك الشروط أو المبادئ الضرورية، التي تجعل من التجربة مادة معقولة، هذه المبادئ مقولات تمثل صورة المعرفة (فالمعرفة النظرية تتألف كلها من ترتيب مادة الإدراك الحسي الواقعة في المكان والزمان وفقاً للمقولات، وهكذا تكون المعرفة حسية وعقلية على السواء، فهي الحصيصة المشتركة للإدراك الحسي وللتفكير)<sup>(١)</sup>

يحصل الإنسان على المعرفة، بترباط العقل النظري والحس؛ تنتقل الحواس عن العالم الخارجي والواقع ما تستطيع أن تنقله من انطباعات، في صورتها المكان والزمان القبليين، تنتظم مع غيرها من مقولات العقل، لنحصل على المعرفة. لا تكون المعرفة بالموضوع كما هو في ذاته، بل كما يظهر لنا (في شكل مبادئ العالم المحسوس والعالم المعقول)<sup>(٢)</sup>، كما رسمته الحواس، وصنعتة العقول ميز كانط بين: الظاهرة "فينومن" أي العالم المحسوس كما تدركه الحواس، ويمكننا معرفته، و الشيء في ذاته "النومين" أي العالم المعقول كما يدركه العقل، ولا يمكننا معرفته، ولا سبيل للإنسان إلى معرفته (ينبغي لنا أن نفكر في أن هناك شيئاً ما خارج المكان والزمان والمقولات، هو "الشيء في ذاته" (المعقول أو النومين) لا سبيل إلى إدراكه بالحس، وإن كان من الممكن التفكير فيه)<sup>(٣)</sup>

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناتاري، ص ٢٥١

(٢) قصة الحضارة: ول ديوارت ٢١٠/٤١

(٣) الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناتاري، ص ٢٥٢

وقسم الموجودات إلى: الظواهر، والأشياء في ذاتها. يقتصر معرفة الانسان و إدراكه على الظواهر فقط، لذلك تصبح معرفة الماهية عنده نسبية، ليست مطلقة، لأن سبيل معرفتها النومين "الشيء في ذاته" (نحاول فهم العالم المحسوس، بأن نطبق عليه المفاهيم الذاتية للمكان والزمان، بواسطة الرياضة والعلوم. العالم المعقول يتجاوز الحواس عن طريق العقل والميتافيزيقا، إلى مصادر العالم المحسوس، وأسبابه فوق الحسية) (١)

يسمى كائناً ارتباط العقل بالتجربة فهما، وعندما يتجاوز العقل النظري حدود التجربة وشروطها، يدخل في قضايا الميتافيزيقا معتمداً على المقولات فقط، يصبح "عقلاً جدلياً" يتطلع في معرفة مطلقة، بموضوعات لا يملك عنها أي معطيات حسية مثل: الله وقدم العالم، فلا يحصل إلا على نقائص لا يمكن حلها (فالعقل والمقولات مهياة للتعامل مع الظواهر أو المظاهر فقط، الظاهرة أو الباطنة، ولا نستطيع تطبيقها على الشيء في ذاته، أي على الحقيقة التي من وراء الأحاسيس، أو النفس التي من وراء الأفكار. فإذا حاولنا إثبات عقائد الدين أو دحضها، وقعنا في أغلاط في البرهان) (٢)

#### المبحث الرابع: مفهوم الله والنفس الإنسانية عند كانط:

الحدود التي يمتلك العقل حق الخوض فيها هي حدود التجربة الحسية، أما البحث الميتافيزيقي التقليدي، يعتبره كانط دعوى باطلة لا تفضي إلى أية نتيجة. ليس بوسع الإنسان أن يتجنب النظر في موضوعات الميتافيزيقا، فلا يفكر في الله والروح وخلود النفس، فإذا تخلى عن التفكير في العلوم جميعاً، تبقى قضايا

(١) قصة الحضارة: ول ديوارت ٢١١/٤١

(٢) المصدر نفسه: ٢١٦/٤

الميتافيزيقا راسخة في وعيه، تلح عليه دائما، لا يقدر على الفرار من مسائلها (لا يسعني إذن أن أسلم بالله والحرية والخلود لصالح الاستعمال العملي الضروري لعقلي، إن لم انكر في الوقت نفسه، على العقل الاعتباري دعواه برؤى مفرطة، لأن عليه من أجل بلوغ هذه الرؤى، أن يستعمل تلك المبادئ، التي لا تطال بالفعل إلا موضوعات التجربة الممكنة فإذا طبقت مع ذلك، على ما لا يمكن أن يكون موضوعا للتجربة، فستحوله حقا وفي كل الأحوال الى ظاهرة، وتعلن إذن امتناع كل توسع عملي للعقل المحض) (١)

توصل كانط إلى معرفة الله بالعقل العملي الذي يقوم على المسلمات على أساس أخلاقي، باعتماده على قوانين الأخلاق، الذي تصدق نتائجه، عن نتائج العقل النظري، وانتهى في نقده للعقل النظري، باستحالة اثبات وجود الله عن طريقه، (لذا كان على أن أنسخ القلم كي أفسح في المجال للإيمان، إن دغمائية الميتافيزيقا، أعنى التحكمة القائمة على امكان احراز تقدم فيها، دون نقد للعقل المحض، هي المصدر الحقيقي لكل جحود معارض للأخلاق) (٢)

تبدأ المعرفة عند كانت بالتجربة، والعقل يمتلك الشروط اللازمة لتحليل ما تتوصل إليه الحواس. أيقن كانط أن فكرة وجود الله والروح والحياة بعد الموت، ليست من اختصاص عقل الإنسان النظري. ورد على الملحدون والفلاسفة، الذين حاولوا معرفة الله ووجوده وصفاته، من خلال العقل النظري وحده، بأنها مسلمات عملية لا تخضع لرفض العقل لها، لعجزه عن ادراكها أو نفيها

---

(١) نقد العقل المحض: كانط، ص ٣٨

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٨

وتحت إلهام العقل واندفاعه نحو قضايا الميتافيزيقا، وعدم الوصول إلى أجوبة يقينية عنها، أقام "كانط" الحدود بين ما نستطيع معرفته، وبين ما نملك حق التفكير فيه فقط؛ فبمقدورنا أن نفكر في الظواهر ونعرفها، أما (الأشياء في ذاتها) فلنا حق التفكير فيها، بشرط أن نعلم -مبدئياً- أننا لن نحصل بشأنها على أية معرفة علمية.

**عجز العقل النظري عن إثبات وجود الله:** بين كانط عجز العقل النظري باسم المنطق والعلم، عن معرفة مسائل الميتافيزيقا، بينما أثبتنا العقل العملي باسم الأخلاق والإيمان. فسلم بحرية الفعل الأخلاقي و خلود النفس ووجود الله (عقلنا عاجز كل العجز عن تبصرتنا بالعلاقة بين العالم والحكمة السامية.... على الفيلسوف ألا يلعب دور المحامي الخاص في هذا الأمر، وعليه ألا يدافع عن أي قضية يعجز عن فهم عدالتها، ولا يستطيع إثباتها بطرق التفكير والخاصة بالفلسفة) (١)

عجز العقل النظري بكونه فكراً يطلب المعرفة، عن إثبات القضايا الأساسية الثلاثة (وقصارى ما يستطيع هذا البرهان إثباته، هو مهندس تعوقه دائماً أشد التعويق، كيفية المادة التي يشتغل بها، لا خالق يخضع لفكرته كل شيء) (٢) و من حيث هو عمل وممارسة أخلاقية يجد منطق لا يستقيم بدونها، فأقر بوجودها. ليتجاوز الإيمان حدود المعرفة، فعبر كانط عن ذلك، بأنه ضحي بالعلم في سبيل الإيمان (وجدت من الضروري أن أنفى المعرفة "بالأشياء في ذاتها" لأفسح مجالاً للإيمان) (٣)

(١) قصة الحضارة: ول ديوارت، ٢١٧/٤١

(٢) المصدر نفسه: ٢١٧/٤١

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٠/٤١

في نقد العقل الخالص أراد كانط تخلص الميتافيزيقا من أخطاء العلماء، لاستخدام عقولهم فيما هو خارج حدود التجربة، استخداما غير مشروع، ليس بإمكانه إنتاج معرفة علمية عن القضايا الكبرى: النفس والعالم والله، فليس لدى العقل النظري ما يؤهله، لإدراك وجودها وحقيقتها، بإمكانه فقط التفكير فيها، وليس معرفتها (إن في باطننا شيئا أعمق من العقل، هو شعورنا الذي لا يقبل التنفيذ، بأن الوعي والعقل والنفس، ليست مادية، وأن الإرادة حرة إلى حد ما، وأن يكن على نحو غامض و منطقي، ونحن لا نستطيع، أن نقنع طويلا، بالنظر إلى العالم، على أنه تسلسل لا معنى له من التطور والفاء، دون مغزى خلقي أو عقل أصيل) (١)

يميل الانسان ميلا طبيعيا صادرا من ذاته لمسائل الميتافيزيقا، وأكد كانط عجز العقل النظري الذي يقوم على الجدل والمغالطات عن إدراك موضوعاتها، والبرهنة على وجودها، وعجزه أيضا أن يبرهن على عدم وجودها (كيف نستطيع تبرير إرادة الإيمان فينا؟ من جهة بالجدوى الفعلية للإيمان، لأنه يقدم لنا بعض الهدايا في تفسير الظواهر، ويوفر لنا شيئا من السلامة الفلسفية والسلام الديني) (٢)

**ماهية النفس:** تبقى النفس مجهولة، إذا لم يمتلك الإنسان حدسا حسيا، يوفر له المادة الضرورية، التي تمكن الفكر من إنتاج، فكرة صحيحة ويقينية عن ماهية النفس، ومع ذلك يقرر كانت، نمتلك شعورا بوجود النفس في الزمان من جهة، واعتبارها موضوعا لإحساس باطني من جهة أخرى. هذا الإدراك الحسي لا

---

(١) المصدر نفسه: ٢١٧/٤١

(٢) المصدر نفسه: ٢١٧/٤١



يمكن العقل النظري من معرفة الماهية الحقيقية للنفس، فهي (حقيقية، لكن لا يمكن معرفتها، ونحن لا ندركها حسيا على الاطلاق، بوصفها كيانا مضافا إلي الحالات التي ندركها حسيا، وهي الأخرى "نومين" يدرك عقليا بالضرورة، باعتبارها الحقيقة التي من وراء الذات الفردية، والحس الأخلاقي وأشكال العقل وعملياته، والاحساس بالذات يمتزج مع كل حالة عقلية، يوفر الاستمرارية والهوية الشخصية والوعي بالذات) (١) النفس في هذه الحالة مجردة، وليست جسما، مادية في فعلها، مجردة في ذاتها، تعود إلي أي بدن، معادها روحاني، يتفق بذلك كانط مع علماء المسلمين

**مفهوم الله:** لم يتمكن كانط أن يحدد مفهوما لله، لأن أي تعريف لله سيضطره أن ينسب إليه صافات يستمدها من العالم المحسوس، وما عرفناه في تجربتنا الظاهرة، فينتج عن ذلك تناقض بين مفهوم الله كمفهوم عقلي خالص، وبين تلك الصفات المحسوسة التي ننسبها إليه. والله مستقل عن أي ظواهر محسوسة، يدرك بالنفس وليس بالمادة، يعرف بالعقل العملي، لا يطلق عليه أي صفة منتزعة من التجارب المشروطة بما هو محسوس.

قد نتصور أن هذا العالم من صنع عقل أسمى، ولا يمكننا أن نقدم أي معرفة دقيقة وصحيحة عن حقيقة هذا العقل الأسمى، كشيء في ذاته (والمفهوم المحدد الوحيد الذي يعطينا إياه العقل النظري الخالص عن الله هو بأدق معنى، مفهوم "ربوبي" أي أن العقل لا يحدد، الصحة الموضوعية لمثل هذا المفهوم، إنما يعطينا فقط، الفكرة عن شيء هو الأساس، للوحدة الأسمى والواجبة لكل الحقيقة

---

(١) المصدر نفسه: ٢١٧/٤١

التجريبية)(<sup>(١)</sup>)

معرفة الله تكون إما بالعقل العملي، وإما بالوحي. ومعرفته بالعقل إما بوصفه مفهوما ترسندالي، أو بوصفه مفهوما طبيعيا (إذا كنت أفهم بالإلهيات، معرفة الكائن الأصلي، فإن هذه ستكون إما بمجرد العقل، وإما بالوحي. الأولى تفكر موضوعها، إما بالعقل المحض وحده، بواسطة مجرد أفاهيم ترسندالية، عندها إلهيات ترسندالية، وإما تفكره بوصفه العقل الأسمى، بواسطة أفهوم تشتتته من الطبيعة (طبيعة نفسنا)، يجب أن يسمى إلهيات طبيعية)(<sup>(٢)</sup>)

والذي لا يسلم إلا بالإلهيات ترسندالية يسمى تألهيا. والذي يسلم أيضا بالإلهيات طبيعية يسمى تألهيا طبيعيا. يوافق الأول على أنه يمكننا على كل حال، أن نعرف بمجرد العقل وجود كائن أول، لكن الأفهوم الذي لدينا عنه هو حسب رأيه، مجرد أفهوم ترسندالية، أي أننا لا نفكره إلا بوصفه كائنا يتمتع بكل الواقع، من دون أن يمكننا أن نعين هذا الواقع بدقة أكبر)(<sup>(٣)</sup>)

ويزعم الثاني أن العقل قادر، على تعيين موضوعه بطريق أدق بالتمثيل مع الطبيعة، أعني بوصفه كائنا يتضمن في ذاته، بفاهمته وحريته، المبدأ الأصلي لجميع الأشياء الأخرى. فتحتته إذن يتصور الأول، مجرد علة للعالم (تاركا مسألة معرفة هل هو علة بضرورة طبيعية أم بحرية، مسألة غير محسومة) ويتصور الثاني مبدعا للعالم)(<sup>(٤)</sup>)

تستدل الإلهيات الطبيعية على صفات خالق العالم ووجوده، من القوام والنظام

---

(١) المصدر نفسه: ٢١٨/٤١

(٢) نقض العقل المحض: كانط، ص ٣١٣

(٣) المصدر نفسه: ص ٣١٣

(٤) المصدر نفسه: ص ٣١٣

والوحدة التي تصادف في العالم، حيث يجب أن يسلم بنوع مزدوج من السببية، كما بقاعدة هذا النوع وذلك، أعني بالطبيعة والحرية. وترتفع إذن من العالم إلى العقل الأسمى بوصفه مبدأ لكل نظام وكمال طبيعيين كانا أم خلقين، وتسمى في الحالة الأولى إلهيات طبيعية، وفي الثانية إلهيات أخلاقية (١)

### الفرق بين التألّهي و التألّهي الطبيعي:

١- التألّهي لا يسلم إلا بإلهيات ترسندالية (والذي يسلم أيضا بإلهيات طبيعية يسمى تألّهيا طبيعيا. يوافق الأول على أنه يمكننا على كل حال أن نعرف بمجرد العقل وجود كائن أول، لكن الأفهوم الذي لدينا عنه هو حسب رأيه، مجرد أفهوم ترسندالية، أي أننا لا نفكره، إلا بوصفه كائنا يتمتع بكل الواقع، من دون أن يمكننا، أن نعين هذا الواقع بدقة أكبر) (٢)

والتألّهي الطبيعي يزعم (أن العقل قادر على تعيين موضوعه، بطريق أدق بالتمثيل مع الطبيعة، أعني بوصفه كائنا يتضمن في ذاته، بفاهمته وحريته، المبدأ الأصلي لجميع الأشياء الأخرى. فتحتة إذن يتصور الأول، مجرد علة للعالم (تاركا مسألة معرفة، هل هو علة بضرورة طبيعية أم بحرية؟ مسألة غير محسومة) ويتصور الثاني مبدعا للعالم) (٣)

٢- أدلة التألّهي الطبيعي على صفات و وجود خالق العالم: (من القوام والنظام والوحدة التي تصادف في العالم حيث يجب أن يسلم بنوع مزدوج من السببية، كما بقاعدة هذا النوع وذلك، أعني بالطبيعة والحرية. وترتفع إذن من

(١) المصدر نفسه: ص ٣١٣

(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٣

(٣) المصدر نفسه: ص ٣١٣

العالم إلى العقل الأسمى، بوصفه مبدأ، لكل نظام وكمال طبيعيين كانا أم خلقيين، وتسمى في الحالة الأولى إلهيات طبيعية، وفي الثانية إلهيات أخلاقية (ولا أقول أخلاق لاهوتية، لأن هذه تتضمن قوانين خلقية تفترض وجود سيد أسمى للعالم، في حين أن الإلهيات الأخلاقية هي اقتناع، بوجود كائن أسمى، مؤسس على قوانين خلقية) (١)

٣- التالهي بالعقل النظري يثبت وجود الله، خالي من كل الصفات، والتالهي الطبيعي بالعقل العملي يثبت لله صفات زائدة على الوجود، الله (كائن أسمى، يجب أن يكون مبدعا للأشياء بفاهمة وحرية، وبما أن هذا الأفهوم الأخير هو الوحيد الذي يهمننا، فإنه بالإمكان، أن ننكر على التالهي كل إيمان بالله، كي لا تترك له، سوى زعم كائن أصلي أو علة أسمى. لكن، بما أنه يجب أن لا يتهم أحد، بأنه يريد أن ينكر شيئاً، بسبب أنه لا يجرؤ على إثباته، فإنه أكثر انصافاً وعدلاً، أن نقول: أن التالهي يؤمن بالله، إلا أن التالهي الطبيعي يؤمن بالله الحي) (٢)

نستطيع أن نعرف العلاقة بين كائن إلهي أسمى و بين العالم، على أساس أن للعالم صورة عقلية تدل على العلة الفاعلة الأولى، المفسرة لهذا التناقض العقلي الذي يحكمه. لكن هذا التفسير، لا يمكننا من تكوين أي معرفة علمية، بحقيقة هذا العقل الإلهي الأسمى، الذي يدلنا هو العقل العملي الذي يتفق مع التنزيل، كأنه الهام من الله (إن أشياء العالم يجب النظر إليها، كأنها تلقى وجودها من عقل أسمى. ففكرة "الله" في الحقيقة مدرك عقلي موجه، لا مدرك عقلي مباشر) (فرض يعين على الكشف والفهم، وليس برهاناً) ففي ميدان اللاهوت، يجب أن ننظر إلى كل

(١) المصدر نفسه: ص ٣١٣

(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٤

شيء، كأن الظواهر كلها(العالم المحسوس ذاته)،له أساس واحد أسمى، كلى الاكتفاء،وراء ذاته.هو عقل موجود بذاته،مبتكر مبدع،لأنه في ضوء هذه الفكرة،فكرة العقل المبدع،نوجه الاستخدام التجريبي لعقلنا،بحيث نحصل على أقصى امتداد مستطاع له(١)

**العقل العملي يخلص بالتغيير المدارس المتشددة:** التي تستخدم العقل النظري، كأنه برهان رياضي،ليس به سفسطة،و مجادلات ومغالطات كثيرة،فلا يتناول كانط بالتغيير(إلا ادعاءات المدارس الصلفة،التي ترغب في أن ترى نفسها من هذه الناحية،بمثابة العارف والمؤتمن الوحيد،على تلك الحقائق،التي تطلع الجمهور على مجرد استعمالها،محتفظة بالمفتاح لنفسها.غير أنه قد حووظ على دعوى الفيلسوف النظري المحقة،أكثر من سواها.فهو سيبقى دائما،المؤتمن الوحيد على العلم)(٢)

**يوجب كانط أن يثور الحق الحر على الكنيسة،في الحالات الآتية:**

- ١- حين تكره الناس على الايمان أو العبادة،وتزعم لنفسها الحق الأوحد،في تفسير الكتاب المقدس وتعريف الأخلاق
- ٢- حين تكون كهنوت،يدعى لفسح سبل الاتصال،وحده بالله والنعمة الإلهية
- ٣- حين تجعل من عبادتها مجموعة طقوس سحرية لها معجزات
- ٤- حين تصبح ذراعا للحكومة وأداة للطغيان الفكري
- ٥- حين تحاول أن تتسلط على الدولة،وتستخدم الحكام العلمانيين،مطاياا للطمع الكهنوتي،(عندها يثور الحق الحر على كنيسة كهذه،ويبحث خارجها عن ذلك

(١) قصة الحضارة:ول ديوارت،٢١٧/٤١

(٢) نقد العقل المحض:كانط،ص٤٠

الدين العقلي الخالص، ذلك هو السعي لبلوغ الحياة الأخلاقية(١)

### بعد موت كانت:

بلغ من قلة اكرثا كائت بالدين المنظم أنه لم يكتلف إلا إذا اقتضته ذلك واجباته الجامعية. ويبدو أنه لم يصل قط في حياته بعد الرشد(٢). وروى هررر"الفيلسوف الألماني" أن تلاميذ كانط بنوا شكوكهم الدينية على تعليم كانط. كتب كانط إلى مندلسون "الفيلسوف الألماني" يقول: صحيح حقا أنني أفكر بأوضح اقتناع، وبغاية الرضى في أشياء كثيرة، ليس لدى الشجاعة أبدا على قولها، لكنى لا أقول أبدا أي شيء لا أعتقد(٣)

خلف كانت عند موته العديد من الكتابات، نشرت على أنها أثر منشور بعد وفاته(في إحداها وصف الشيء في ذاته- الطبقة السفلية المجهولة، من وراء الظواهر والأفكار، بأنه ليس شيئا حقيقيا، لا حقيقة موجودة، بل مجرد مبدأ للمعرفة القبلية التركيبية، للعيان الحسي المتعدد، و قد سماه، أي شيئا لا وجود له إلا في فكرنا، وقد طبق هذه الارتيابية ذاتها على فكرة الله(٤)

تعثر كانط في الوصول لمعرفة الله، وانتهى به الطريق إلى أن الله لا وجود له في الواقع، هو مجرد فكرة عقلية، من خلق العقل، نماها ليبرر بها القوانين المطلقة للأخلاق (ليس الله جوهرًا موجودًا خارجي، بل مجرد علاقة أخلاقية في باطنى. والأمر المطلق لا يفترض جوهرًا يصدر أو امره من عل، ويتصور إذن

(١) قصة الحضارة: ول ديوارت، ٢٢٩/٤١

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٤/٤١

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٤/٤١

(٤) المصدر نفسه: ٢٣٥/٤١

على إنه خارجي، بل هو أمر أو نهي من عقلي أنا<sup>(١)</sup>  
هذه الفكرة العقلية، أو الأمر المطلق يصدر للأوامر للناس، بما لدى العقل من سلطة وقدرة على الأمر (فيمثل الواجبات الإنسانية كأوامر إلهية، لا بالمعنى التاريخي، كأن (كائنا إلهيا) قد أصدر أوامر للناس، بل بمعنى أن العقل له القدرة على الأمر، بسلطة شخص إلهي وعلى هيئته. وصورة كائن كهذا، يجثو أمامه الجميع.. الخ. تنبعث من الأمر المطلق، وليس العكس. إن الكائن الأعلى هو من خلق العقل، لا جوهر خارجي عني<sup>(٢)</sup>. هكذا انتهت الفلسفة الكانطية التي تشبست بها المسيحية طويلا، في ألمانيا ثم بعدها في إنجلترا، بإعتبارها آخر وأفضل أمل للألوهية، بتصور كئيب لله يراه خيالا نافعا، نماء العقل البشرى، ليفسر المطلقية الواضحة، للأوامر الأخلاقية<sup>(٣)</sup>

#### تقويم:

لم يبتكر كانط محاولة حل مشكلة المعرفة الإنسانية بفكر جمعه بين الإدراك الصوري القبلي والادراك التجريبي البعدي. فقد سبقه الكثير من علماء المسلمين الذين أثبتوا عجز العقل الإنساني، عن إدراك عالم الغيب والحقائق. أقاموا الإيمان على الدين، وليس على الأخلاق، يعبدون الها حقيقيا، أثبتوه بالعقل النظرى والعملية قرر كانط استحالة معرفة عالم الأشياء في ذاتها بالعقل، وبدل الميتافيزيقا التأملية بالأخلاقية أو العملية، وهو (لم يقدم لنا دليلاً واحداً، يثبت به لنا كيف يتسنى للعقل المجرد أن يتحول إلى عقل عملي، مما يدل على أنه لم يقم أوامره القطعية

(١) المصدر نفسه: ٢٣٥/٤١

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٥/٤١

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٦/٤١

المطلقة على أساس متين<sup>(١)</sup>. بينما فرق علم الكلام عند المسلمين بين ذات الله وهي عين الوجود المطلق، لا يمكن للعقل إدراكها، والصفات التي تدل على الوجود المطلق، وتتوافر للعقل إمكانية إدراكه بواسطة الوحي

لم تهتم فلسفة كانط الأخلاقية وأوامره المطلقة بالظروف الاستثنائية المحيطة بالفعل الانساني، فتكررت للميول والعواطف الإنسانية باعتبارها باعثاً على أداء الواجب، واستبعدت الدين كباعث على الاخلاق. وتجاهل الكثير من الذين يسعون بتصرفاتهم وسلوكهم، إلى غايات تختلف فيها الأهداف لتحقيق منافع أو بحث عن سعادة، وتتعدد واجباتهم بتعدد الأحوال والعلاقات

قانون الواجب يصلح فقط لقلّة من ذوي الإرادة القوية الذين يحققون من سلوكهم عمل الواجب فحسب، لو أدى بهم إلى تضحيات بالمال والوقت والراحة. وتنفيذ أوامر الشرع ونواهيه، تجعل المؤمن لا يذعن له "كفكرة" أو "كائن عقلي" وينقاد له، لأنه صادر عن الله تعالى، الذي زود العقل، وأودع فيه الحقائق الأولى، بما فيها الحقيقة الأخلاقية

أقام "كانط" الأخلاق على دعائم لاهوتية صرفة، وما سماه (بالأمر المطلق) هو في رأي شوبنهاور مجرد باعث وهمي، لا فائدة منه ولا طائل تحته. وبإمعان النظر إلى مبادئ الأخلاق الكانطية، نتحقق أنها بعينها (الأخلاق المسيحية)، في صورة مستترة مقنعة، أو على الأصح مقلوبة رأساً على عقب. (فالمسيحية تبدأ بالإيمان بالله (القائم على وحي)، ثم تتصور الواجب على أنه إرادة الله، بينما يقلب كانت هذا الوضع، فيبدأ بالواجب باعتباره مبدأً مطلقاً، لا سبيل إلى تفسيره،

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٧٢



مستعينًا في ذلك بجدل وهمي خدّاع، ثم يصل في نهاية الأمر إلى الله (١).  
إن "كانت" أشبه ما يكون برجل رقيق راح يغازل- في إحدى حفلات الرقص  
التنكري- سيدة مقنعة ذات جمال خفي، حتى إذا ما أزاحت النقاب عن وجهها في  
نهاية الحفلة، لم يلبث أن وجد نفسه بإزاء زوجته، ألسنا نرى كانت ينتهي في خاتمة  
المطاف إلى اللاهوت الأخلاقي؟ ألم تكن الكلمة النهائية في كل مذهبه  
الأخلاقي، لمصادر العقل العملي، التي هي بعينها مبادئ الدين (٢).

---

(١) كانت أو الفلسفة النقدية: زكريا إبراهيم ص ١٧٢، ط ٢، مكتبة مصر

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٣

## الخاتمة

١-الترنسدنتالي مبدأ ذاتي للفكر متقدّم على التجربة تقدّمًا منطقيًا.معناه التسامى أو التعالي يتجاوز فيه كائنا الخبرة التجريبية،للبحث عن أصل الاشياء،انطلاقًا من المبادئ الأولية "المقولات"، يتمكن به من الوصول الى المعرفة

٢-المعارف العقلية القبلية عند كائنا تسبق معطيات التجربة الحسية سبقا منطقيًا،فلا تحصل المعرفة بقيام تجربة خالصة ما لم يكن في الذهن تصورات قبلية تحولها إلى مفاهيم

٣-اعطى كائنا للميتافيزيقا قيمة عملية أخلاقية باعتبارها فطرة و ضرورة تمنح لأفعال الانسان الغائية.فلو لم يوجد الله،وكان العالم بغير خالق،لفقدت الأفكار والمبادئ الأخلاقية،كل صحتها

٤-عجز العقل النظري عن البرهنة على موضوعات الميتافيزيقا،"الله،النفس الإرادة"فلجأ كانت إلى العقل العملي لإثباتها،لأنها موضوعات فطرية طبيعية لدى الانسان،وضرورة أخلاقية عملية

٥-توجب الاخلاق ارتباط الفضيلة بالسعادة،ولديها قوة من شأنها أن تصون هذا الارتباط، الذي يقوم على فعل من أفعال الايمان،ليحل لغز وجود الله بمأثرة أعظم في نظر كانت من ايراد البراهين الباطلة على هذا الوجود

٦-أيقن كائنا أن فكرة وجود الله والروح والحياة بعد الموت في العقل ليست من اختصاص عقل الانسان.ورد على الملحدين والفلاسفة الذين حاولوا معرفة الله ووجوده وصفاته من خلال العقل وحده،أنها مسلمات عملية لا تخضع لرفض العقل لها لعجزه عن ادراكها أو نفيها

٧-وضع للعقل حدودا وقدرة في المعرفة، فلم يسلم بالله والحرية والخلود إلا لصالح الاستعمال العملي الضروري للعقل، و انكر على العقل الاعتباري استعمال المبادئ التي لا تطال بالفعل إلا موضوعات التجربة

٨-توصل كانط إلي معرفة الله على أساس أخلاقي، فلو سلم للمعرفة وانقاد للتفكير العقلي فلن يؤمن، وانتهى في نقده للعقل، باستحالة إثبات وجود الله عن طريق العقل النظري وقبل وفاته، وصف الشيء -في ذاته- الأمر المجهول، من وراء الظواهر والأفكار، أنه ليس شيئا حقيقيا موجودا، بل مجرد مبدأ للمعرفة القبلية، للموضوعات الحسية المتعددة، سماه شيئا، لا وجود له إلا في فكرنا، طبق هذا الشك على فكرة الله

تعثر كانط في الوصول لمعرفة الله بالعقل النظري، وانتهى به الطريق -كما ادعى عليه أصحابه- إلى أن الله لا وجود له في الواقع، هو مجرد فكرة عقلية، من خلق العقل، نماها ليبرر بها القوانين المطلقة للأخلاق. الأمر المطلق هو من يصدر الأوامر للناس، بما لدى العقل من سلطة وقدرة على الأمر يمثل الواجبات الإنسانية كأوامر إلهية، بسلطة شخص إلهي وعلى هيئته، يخضع أمامه الجميع.

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.}

\* \* \*

## ثبت المراجع

- ١- أطلس الفلسفة: بيتر كونز مان، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية
- ٢- التعريفات: الشريف الجرجاني، مصطفى الحلبي ١٩٣٨
- ٣- الفلسفة ببساطة: برندان ولسون، ترجمة آصف ناصر، دار الساقى ٢٠٠٩ م.
- ٤- قصة الحضارة: ول ديوارت، ترجمة فؤاد أندرواس الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١
- ٥- كانت أو الفلسفة النقدية: زكريا إبراهيم، ط٢، مكتبة مصر
- ٦- المعجم الوجيز، طبعة التربية والتعليم ٢٠٠٤
- ٧- الموسوعة الفلسفية الميسرة المؤلف: جوناثان رى، و ج. أو. أرمسون  
ترجمة: فؤاد كامل، وجلال العشرى، وعبد الرشيد الصادق محمود، المركز القومي للترجمة
- ٨- نقد العقل المحض: عمانوئيل كانط، ترجمة موسى وهبة، مركز الانماء القومي، لبنان.

\* \* \*

## فهرس موضوعات البحث

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٦٥٩
تمهيد	٦٦٢
ايمانويل كانط	٦٦٢
الفصل الأول: الحكم "المعرفة" عند كانت	٦٦٤
المبحث الأول: تعريف الحكم واقسامه	٦٦٤
الفرق بين المعرفة المحضة والأمبيرية	٦٦٨
المبحث الثاني: منهج كانت في المعرفة	٦٦٨
أحكام العلوم النظرية	٦٧١
المبحث الثالث: الميتافيزيقا "ما وراء الطبيعة":	٦٧٥
تعريف الميتافيزيقا	٦٧٧
نقد العقل المحض	٦٧٨
الفصل الثاني: ملكة المعرفة عند كانت	٦٨١
المبحث الأول: وسائل معرفة الظواهر	٦٨١
المبحث الثاني: المكان والزمان	٦٨٤
المبحث الثالث: العقل "المنطق الترسندالي"	٦٩٠
الفصل الثالث: فلسفة الأخلاق عند كانط "العقل العملي"	٦٩٤
المبحث الأول: المعرفة النظرية و العملية عند كانط:	٦٩٦
مصدر القوانين الأخلاقية	٦٩٨
المبحث الثاني: الفوائد الإيجابية لمبادئ العقل المحض النقدية عند كانط	٧٠١

٧٠٣	المبحث الثالث: كانط بين المعرفة العقلية والحسية
٧٠٥	المبحث الرابع: مفهوم الله والنفس الإنسانية عند كانط
٧١٦	الخاتمة
٧١٨	ثبت المراجع
٧١٩	فهرس موضوعات البحث

\* \* \*